جمهورية السودان

التعليم الثانوي

وزارة التعليم العام

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي
بخت الرضا

التاريخ

الصف الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان
وزارة التربية والتعليم العام
المركز القومي للمناهج والبحث التربوي
- بخت الرضا -

التعليم الثانوي

التاريخ

للصف الأول

المؤلفون :

الأستاذ : أحمد عبد الكريم أحمد- الأمين العام – المركز القومي للمناهج
الأستاذ /الدكتور : عمر حاج الزاكي – عميد كلية الآداب – جامعة ام درمان الاسلامية
الأستاذ /الدكتور : حسن محمد صالح– الأمين العام – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الدكتور : الفاتح يوسف الشيخ– عميد كلية التربية– الحصاحيصا – جامعة الجزيرة
الأستاذ : عبد الرحيم امام محمد– مدير التعليم الثانوي- ولاية الخرطوم

التصميم والإخراج الفني : الاستاذ : ابراهيم الفاضل الطاهر - مختص مناهج
الجمع بالكمبيوتر : اشراقة فرح شريف

جميع حقوق الطبع والتأليف ملك للمركز القومي للمناهج والبحث التربوي . ولا يحق لأي جهة، بأي وجه من الوجوه نقل جزء من هذا الكتاب أو إعادة طبعه أو التصرف في محتواه دون إذن كتابي من إدارة المركز القومي للمناهج والبحث التربوي.

ردمك : 978-99942-53-41-8

موقع المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

بخت الرضا

www.nccer.edu.sd

المحتويات

الموضوع	الصفحة
▪ المقدمة	أ
الباب الأول : **شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**	١
الباب الثاني : **بناء الدولة الإسلامية** .	١٣
▪ الفصل الأول : الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الأربعة (أبو بكر ، عمر ، عثمان ، على)	١٤
▪ الفصل الثاني : الدولة الإسلامية في عهد بني أمية	٤٢
▪ الفصل الثالث : الدولة الاسلامية في عهد بنى العباس	٥٣
الباب الثالث : **نماذج من تاريخ أفريقيا وحضارتها**	٦٦
▪ الفصل الأول : مدخل لتاريخ أفريقيا قبل الإسلام	٦٧
▪ الفصل الثانـي : السودان القديم والوسيط	٧٥
▪ الفصل الثـالث : انتشار الإسلام في أفريقيا	٨٨
▪ الفصل الرابـع : الإسلام في السودان	٩٥
▪ الفصل الخامس : الإسلام في شمال وغرب افريقيا	١٢٣
▪ الفصل السادس : الإسلام في الساحل الشرقي لأفريقيا	١٣٩
▪ الفصل السابع : نموذج للحركات والثورات الإسلامية	١٤٣
▪ الفصل الثامن : الاستعمار الأوربى في القارة الأفريقية	١٤٩
▪ الفصل التاسع : نموذجان لحركات التحرير الوطنية – غانا – الجزائر	١٥٨

المـقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على المعلم الأول ، محمد بن عبد الله ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وبعد

فيسرنا أن نقدم للاخوة المعلمين والمعلمات ، ولأبنائنا الطلاب والطالبات، كتاب " التاريخ " للصف الأول الثانوي ، وقد احتوى على ثلاثة أبواب . جاء الأول منها ليعطى خلفية لشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، بيئتها الجغرافية ، ونظمها السياسية والإجتماعية والدينية ، والتى قامت الدولة الإسلامية على أرضها ، وما صاحبها من المتغيرات التى انتظمت مناحى الحياة المختلفة آنذاك .

أما الباب الثاني فقد حمل مسيرة الدولة الاسلامية التى أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ومنها انطلقت راية الجهاد خفاقة ، وخرجت بالدعوة الإسلامية حتى شملت معظم أرجاء شبه جزيرة العرب ، وواصل خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم تلك السياسة حتى بلغت الدولة أقصى اتساعها في العهد الأموى . بينما انحصر دور الخلفاء العباسيين في المحافظة على تلك الدولة الاسلامية المترامية الأطراف ، وشهد عهدهم ظهور الحركات الاستقلالية في الأطراف البعيدة ، مما أدى إلى تقلص الدولة الاسلامية رويداً رويداً .

أما الباب الثالث فقد عالج تاريخ أفريقيا وحضارتها ، وفيه تم تناول تاريخ السودان القديم ، واعقبه فصل انتشار الاسلام في شمال أفريقيا وغربها وشرقها مع التركيز على انتشار الإسلام في السودان ، وقيام الممالك الاسلامية على

انقاض الممالك المسيحية النوبية ، التى سادت يومها ، ثم أفرد فصل للحركات الإسلامية ، وآخر للزحف الاستعمارى الأوربى على أفريقيا ، وخُتِمَ الكتاب بنماذج للحركات الوطنية التى عمدت لطرد المستعمر الأوربى بنفس سلاحه ، وَظِّهرتِ القارة الافريقية منه .

نأمل أن يحقق الكتاب غاياته ، ويعكس للطلاب صوراً من التضحية ونكران الذات ، وإحياء روح البذل والعطاء

والله نسأله التوفيق والسداد

المؤلفون

الباب الأول

شبه الجزيرة العربية

قبل الإسلام

مقدمة عن الظروف الجغرافية والأحوال السياسية والأجتماعية والدينية :

(أ) الظروف الجغرافية

أطلق العرب على الأرض التي نشأوا فيها ـ والتي تقع فى الجنوب الغربي من آسيا ـ (جزيرة العرب) لأن رحلاتهم تمر من شواطئ البحار ، فظنوها محاطة بالماء . وجاء المؤرخون المعاصرون وسموها (شبه الجزيرة العربية) حيث يحددها الخليج العربي وبحر عمان شرقاً ، والمحيط الهندي جنوباً ، والبحر الأحمر غرباً ، وبادية الشام شمالاً.

وشبه جزيرة العرب لا تحتوي على صحارى وجبال وهضاب فحسب ، بل اشتملت كذلك على وديان خضراء عظيمة الخصوبة ، وازدهرت هذه الوديان الخضراء منذ آلاف السنين ، وكثرت بها القرى الزراعية ، والمدن التجارية المزدهرة . وتقع هذه الوديان الخضراء بصفة خاصة حول أطراف شبه جزيرة العرب ، ففي الجنوب الغربي تقع اليمن ، التي عرفتها العصور القديمة باسم (بلاد العرب السعيدة) . وفى الجنوب الغربي توجد بلاد حضرموت، وهى بلاد البخور والعطور الغالية فى العصور القديمة ، وفى الشرق ، أرض (الإحسا) الساحلية المطلة على الخليج العربي ، وهى أرض مشهورة بخصوبتها ، وكثرة

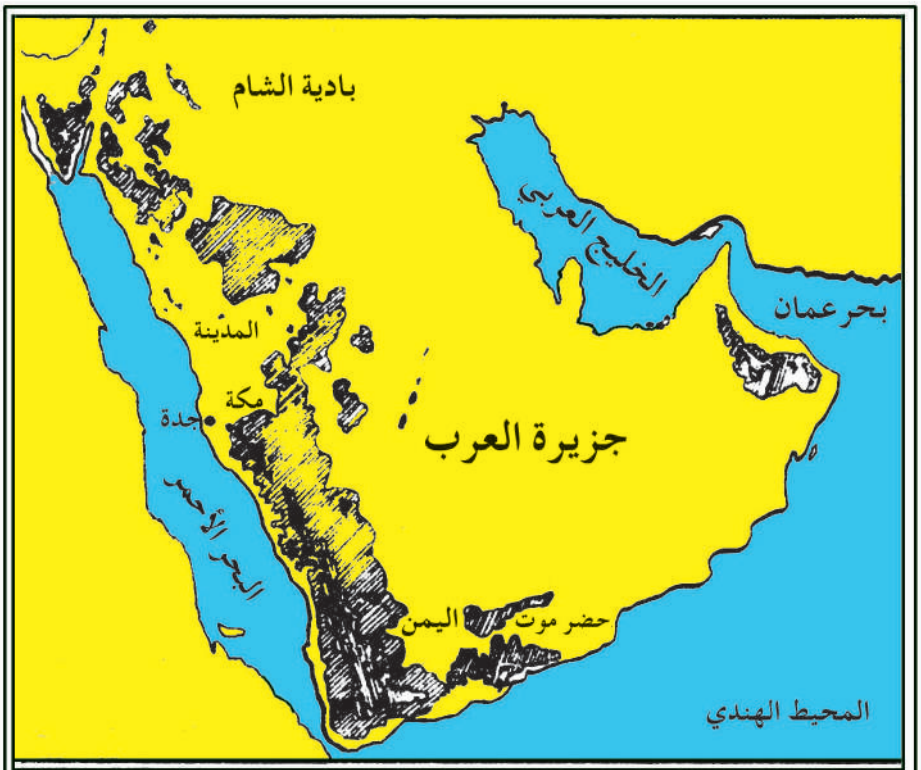

الشكل (١) : خريطة تبين تضاريس الجزيرة العربية

حاصلاتها من الغلال والتمور . وكذلك أرض الطائف شمال مكة ، وهى مشهورة بالفواكه والنخيل . أما المساحات الصحراوية والهضبية والجبلية ، فهى تشكل معظم شبه الجزيرة العربية ، وهى مجدبة مقفرة ، لا تصلح للاستقرار، لانعدام الماء فيها تقريبا . انظر الشكل (١) .

ونتج عن هذه الطبيعة المزدوجة فى جغرافية شبه جزيرة العرب ، أن انقسم سكانها الى قسمين ، حضر وبدو ، واستقر الحضر فى المناطق الجنوبية الخصبة، وعرفوا باسم عرب الجنوب ، أما البدو فقد انتشرت مضاربهم فى المساحات الصحراوية الوسطى والشمالية ، وعرفوا باسم عرب الشمال .

(ب) النظام السياسي :

لم تعرف بلاد العرب نظاماً سياسياً موحداً في الجاهلية وقد ورد لفظ الجاهلية فى أربع آيات من آي القران الكريم ، وهى الفترة التي كانت فيها شبه الجزيرة العربية خالية من أيِّ قانون. وقد أطلق المسلمون لفظ (الجاهلية) على كل الفترة الواقعة من فجر التاريخ العربي وحتى ظهور الإسلام ويحدد بعضهم فترتها بالقرنين السابقين لظهور الاسلام .

ولم تكن لبلاد العرب حكومة مركزية تهيمن على كافة شؤونها ، وإنما اكتفت بالوحدات السياسية المستقلة ، التي عُرِفَتْ بالقبائل . ويبدو أن العرب فى جاهليتهم لم يكن لهم شعور بأنهم أمة بالمعنى العلمي المفهوم ، وإنما كان الشعور الطاغي عندهم ، اعتزاز الفرد بقبيلته . والوحدة الأساسية في البادية هي القبيلة ، وهى وحدة تحكمها رابطة الدم والعصبية ، وتخضع لدستور صارم يقوم على

التقاليد والعرف ، ويعمل على تعميق إحساس الفرد بانتمائه لقبيلته ، ويلزمه بتأييد مصالحها . ويتم اختيار سيّد القبيلة بناءً على صفات الشَّجاعة والكرم والحلم ، وعليه تقع كل المسؤوليات ، وله حق الطاعة على أفراد القبيلة.

وقد نشأت بأطراف شبه جزيرة العرب قبل الإسلام ، بعض الدويلات ، مثل ممالك اليمن فى الجنوب ، وأشهرها معين و سبأ وحمير ، ومملكة الحيرة فى الشمال الشرقي ، ودولة الغساسنة في الشمال الغربي . أما وسط بلاد العرب ، فقد سادت فيه القبلية.

وامتاز الحجاز بمدن ذات طابع بدوى ، مثل مكة والمدينة والطائف ، وكان يحكمها رؤساء العشائر شبه المتوجين من أولاد قحطان ، ويقومون بما يقوم به الملوك تماماً ، ولهم ما للملوك من الحكم والسلطان .

وقدعرف العرب فى العصر الجاهلى التجارة عبر طرق القوافل ، التى تمتد الى الشام فى الشمال ، والى اليمن فى الجنوب ، يقول الله تبارك وتعالى : " **لايلاف قريش ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا ربّ هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** " (سورة قريش) .

واشتهرت بعض المراكز التجارية والثقافية (مثل سوق عكاظ) ، ولهذه الأسواق أدوار اقتصادية واجتماعية هامة ، وكانت عاملاً مؤثراً فى التقارب الثقافي والاجتماعي بين القبائل العربية ، مما ساعد على بلورة ثقافة مشتركة من أهم مقوماتها اللغة العربية التي هيأت العرب للانطلاق بالإسلام .

(ج) النظام الاجتماعي :

(١) الجنس العربي ولغته :

لغة العرب من أهم اللُّغات السامية التى تشتمل على البابلية والعبرية والفينيقية ، لذلك عُرفَ العرب بالساميين ، ومعلوم أن اللُّغة العربية أكثر اللُّغات السامية محافظة على اللِّسان السامي ، ويرجع ذلك إلى طبيعة شبه الجزيرة العربية التي ساعدت على حماية العنصر واللِّسان العربي من المؤثرات الخارجية.

وينقسم العرب إلى قسمين :

١- العرب البائدة ، وهم تلك القبائل التي هَلَكَتْ ، وانقطعت أخبارها ، مثل عاد وثمود .

٢- العرب الباقية ، وهم الذين لا يزالون حتى اليوم ، وينقسمون إلى قسمين :

أ. عرب عاربة (قحطانيون) ، وهم أهل اليمن فى الجنوب ، ومنهم ملوك اليمن ، وقبائل سبأ وحمير .

ب. عرب مستعربة (عدنانيون) ، وهم أهل الحجاز ونجد فى الشمال ، وقد انتسبوا جميعهم إلى عدنان من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

(٢) صفات العرب

ومما يمتاز به البدوي أن نَسَبَهُ لم يدخله اختلاط ، ذلك لتوغله فى الصحراء ، فى حياة لا تغرى أحداً ، ولا تجذب الأنظار إليها ، ولا يأمن الرواد السلامة إن اقتحموها وركبوا مخاطر متاهاتها المخيفة ، مما ضمن للعنصر

البدوي أن يبقى سليم النسب كما حدث ـ على سبيل المثال ـ فى مضر وكنانة وثقيف.

ولم يكن البدوي يؤمن إلا بتقليد قبيلته التي كان يعتز بها ، وتُعَدُّ وطنيته بذلك وطنية قبلية ، لا شعبية . وعلى الرغم من النزعة الفردية ، إلا أن الجميع متساوون ضمن إطار القبيلة فى الحقوق والواجبات ، دون حاجة الى تسجيل ذلك كله فى قوانين مكتوبة .

ومن أهم الصفات الاجتماعية المشتركة بين البدو، هى البساطة فى العيش ، فلم يقتَنِ البدوي لنفسه سوى أمتعته الشخصية . أما مصادر الماء والمراعى والأراضي الزراعية ، فكانت ملكاً مشاعاً بين أفراد القبيلة وفق نظام معين ، وفى تلك المجتمعات كانت الأسرة نواة المجتمع .

وقد تشابهت أحوال العرب من بدو وحضر فى كثير من النواحي الاجتماعية ومن الأدلة على ذلك انه لم توجد فوارق واضحة تفصل بين الرُّحلِ والمقيمين من السكان ، إذ اصطبغت حياة الحضر بصفات عديدة تكشف عن حياتهم الرعوية المتجولة ، وتجعلهم يشتركون مع البدو فى بعض طبائعهم وتقاليدهم . وأهل الحضر من العرب لم يتخلوا تماماً عن عادة التجوال والارتحال من مكان إلى آخر كلما ساءت الأحوال فى موطن من مواطنهم ، أو لمسوا نفعاً فى الهجرة إلي مساحات جديدة تكفل لهم الرخاء والاستقرار .

(٣) المرأة قبل الإسلام :

ليس صحيحاً أن كل العرب فى الجاهلية كانوا ينظرون الى المرأة نظرة استخفاف وإهانة ، خاصة إذا كانت معلوماتنا فى هذا الشان مستقاة من شعرهم الذي هو ديوان أخبارهم . فبعض القبائل تحرص على المرأة ، وتعتبر أنّ عرضها أغلى من النفس والمال والولد . ولعل ذلك كان سبباً فى جنوح بعض العرب للتخلص من البنات بالوأد ، خوفاً من العار الذي قد تجلبه البنت إذا كبرت وانحرفت .يقول الله تبارك وتعالى : **" وإذا الموءودة سئلت بأىِّ ذنب قتلت "** سورة التكوير الآيتان (٨،٩) .

والمرأة العربية خير رفيق لزوجها ، وخير عون له ، لأنها تجيد من الفنون ما يجعلها فى مستوى ثقافي يلائم زوجها . فالرعي ، والاستسقاء ، والغناء ، وقول الشعر ، والنسيج وشد الخيام وضمها ، كل ذلك كانت تجيده المرأة ، بالإضافة إلى واجباتها كأم وربة بيت .

وقد اقتضت الحياة القبلية تدعيم مركز الرجل فى أسرته . وفى المجتمع من بدو وحضر ، فالأب فى الأسرة صاحب الكلمة العليا ، والمسؤول عن كل شؤونها، وقد عُرِفَ بالغَيْرَةِ على زوجته ونسائه ، وبالحماسة فى الدفاع عنهم . وأباحت التقاليد الاجتماعية تعدد الزوجات ، لأنَّ فى ذلك وسيلة لإنجاب أكبر عدد من الأولاد ، وتزويد القبيلة بقدر من المحاربين .

(د) الحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام :

تعددت الديانات في بلاد العرب ، واختلفت اختلافاً كبيراً ، وتأثرت بما جاورها من البلاد ، فشاعت الوثنية قبل الإسلام . وقامت على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة ، كالأرض والسماء والنجوم والكواكب . ولأن حياتهم تقع تحت تأثيرها ، فقد حرصوا على إرضائها . واتخذوا لها أشكالاً مختلفة من بيوت وأشجار وأحجار مصورة وغير مصورة ، تمثل إنساناً أو حيواناً .

وكان البدو يؤدُّون الطُّقُوسَ الدينية لمعبوداتهم ، تحت تأثير التقاليد الموروثة فى قبائلهم دون أن يعرفوا حقيقتها ، كما انهم كانوا قليلي الاهتمام بأمور دينهم ، وليس هناك ما يدل على وجود شعور ديني عميق لديهم .

كانت بعض القبائل تعبد أصناما معينة عُرفت بالأصنام الخاصة ،لانفرادهم بعبادتها، منها (ود) ، و (سواع) ، و (يغوث) ، و (يعوق) ، و(نسرا). وقد عبد قوم نوح الأصنام نفسها ، وذكرها الله عز وجل فى كتابه العزيز ، حيث قال : ((**قال نوح ربِّ إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ، ومكروا مكراً كبارا ، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودَّاً ولا سواعاً، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيراً ، ولا تزد الظالمين الا ضلالاً**)) (سورة نوح الآيات من ٢١ إلى ٢٤) .

أما الأصنام العامة فمنها اللَّات والعزى ومناة ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى سورة النجم ،(الآيتان ١٩ و٢٠) حيث يقول الله تعالى : ((**أفرأيتم اللاَّت و العزى ومناة الثالثة الأخرى ٠٠**)) .

وكانت (اللات) صخرة مربعة بالطائف ، حُجَّابُهَا من ثقيف و (العزى) حجر بوادى نخلة الى الشرق من مكة . أما (مناة) فهو حجر أسود أقِيم له معبد على الطريق بين مكة ويثرب ، وقد عظمها العرب ، وشاعت عبادتها بصفة خاصة عند الأوس والخزرج وغسَّان وخزاعة . ولم تزل على ذلك حتى خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة لفتح مكة ، فعهد الى على بن ابى طالب بهدمها .

وكان (هبل)من أعظم أصنام قريش ، نصبه عمرو بن لحى فى بطن الكعبة، وأمر الناس بعبادته فعبدته قريش ، وتقربت إليه فى المناسبات واستقسمت عنده بالأزلام .

لم يتخذ العرب جميعهم الأصنام آلهة لهم ، فقد عبد بعضهم النجوم والكواكب ، حيث عُبِدَ القمر فى الحيرة ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى الآية : ((**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيل والنَّهاَر ، والشَّمْس والقَمَر ، لاَ تَسْجُدُوا للشَّمْسِ ولا لِلْقَمرِ ، واسْجُدُوا لِلّهِ الَّذِى خَلقَهُنَّ انْ كُنْتمْ إيَّاهُ تَعْبدُوْن** .)) (سورة فصلت الآية ٣٧) .

وعُبِدَت الشمس فى بلاد اليمن ، كما ورد فى القرآن الكريم عن مملكة سبأ فى الآية ٢٤ من سورة النمل :((**وَجدتُّهَا وَقْومَهَا يَسْجُدونَ للشَّمسِ مِنْ دُونِ اللهِ..**)) . واعتنق بعض العرب الزرادشتية التي تُنْسَبُ الى زرادشت، أحد فلاسفة الفرس ، وهى ديانة أهل فارس ، وتقوم على تنازع قوتين فى العالم ، هما قوة الخير وقوة الشر . وقد اتخذ اتباع الزرادشتية النار رمزاً لهم كسائر الفرق المجوسية .

وبجانب هذه العبادات ، فقد عَرَفَت الديانات السماويةُ طريقَها إلى بلاد العرب قبل الإسلام ، فانتشرت اليهودية فى خيبر ويثرب ، وفدك ، وتيماء ، وهى واحات تسيطر على طريق التجارة بين مكة والشام . كما دخلت اليهودية أيضاً بلاد اليمن ، وانتشرت بين كثير من أهلها ، وأثرَت فى اللغة العربية بدخول كلمات ومصطلحات دينية لم يكن للعرب بها علم .

وكذلك دخلت المسيحية بلاد العرب وانتشرت بين الغساسنة وأهالي الحيرة، وكانت نجران أهم موطن لها فى جنوب شبه جزيرة العرب .

ومع أن اليهودية والنصرانية لم تنتشرا انتشاراً واسعاً فى بلاد العرب ، فقد أثرتا تأثيراً واضحاً على الوثنية ، حيث شك بعض المستنيرين فى الوثنية فتركوها وتهودوا وتنصر البعض ، واكتفى فريق ثالث بفعل الخير ، وترك الشر، وبحثوا عن ديانة سيدنا إبراهيم ، وكان حنيفاً يوحد الله ويعبده ، فاعتنقوا هذه الديانة وسُمُّوا بالحنفاء .

الاسئلة

١/ لماذا أطلِقَ على جزيرة العرب شبه الجزيرة العربية ؟

٢/ اكتب وصفاً موجزاً للظروف الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ؟

٣/ ما المقصود بالعصر الجاهلي ؟

٤/ تعتبر اللغة العربية أكثر اللغات السامية محافظة على اللسان العربي – كيف؟

٥/ أكتب مقالاً عن النظام السياسي لشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ؟

٦/ كيف كانت حالة المرأة فى الجاهلية ؟

٧/ مانظرة الاسلام للمرأة ؟

٨/ تعددت الديانات فى بلاد العرب واختلفت اختلافاً كبيراً وتاثرت بما جاورها من البلاد – وضَّح هذه العبارة ؟

الباب الثاني

بناء الدولة الإسلامية

الفصل الأول

الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الأربعة

(أبو بكر ، عمر ، عثمان ، على)

مقدمة :

من المعلومات التى درستها في الصف السابع من التعليم الاساسى محور الإنسان والكون كتاب (نحن والعالم المعاصر) أجب عمّا يأتي :

أ- الى أى قبيلة عربية ينتمى محمد بن عبد الله (عليه الصلاة والسلام)؟

ب- ما أهم مراحل الدعوة للإسلام في مكة ؟

ج- اذكر بعض الأساليب التى اتبعتها قريش فى مقاومة الدعوة للاسلام ؟

د- عدد أهم ملامح وثيقة المدينة التى كتبها الرسول ﷺ مع أهل المدينة واليهود ؟

هـ- ما الفرق بين الغزوة والسرية – أعطِ أمثلة لغزوات هامة فى تاريخ الاسلام ؟

من الملامح العامة لطبيعة الجزيرة العربية بمقوماتها البشرية ووضعها الاقتصادى وظروفها السياسية ، والاجتماعية ، والدينية ، لا يستطيع أحد أن يقرر بأن هذه البيئة كانت مهيأة لقيادة البشرية ، وفق المقاييس المادية التى نعرفها .

فقد كانت تحيط بالجزيرة العربية امبراطوريات ودول ذات قوة وشأن لا يساوى العرب بالنسبة لها شيئاً من الناحية المادية .

ولكن ارادة الله الغالبة اقتضت أن تكون هذه البيئة المجدبة هى مهد الدعوة الخاتمة لرسالات السماء الى البشر . وأن يكون هذا المجتمع المتخلف هو حامل هذه الرسالة الى كل مجتمعات الأرض .

فقد ولد محمد بن عبد الله (عليهما السلام) فى مكة التى أسسها جده ابراهيم الخليل وعاش فيها جده اسماعيل لتكون قبلة أهل الأرض .

ومن مكة المكرمة انطلقت الدعوة الإسلامية شرقاً وغرباً يحملها نفر قليل من العرب الذين حولتهم دعوة الإسلام فى سنين قليلة من بدو مستضعفين بين الأمم ذات السيادة والريادة في ذلك الزمان - الى قوة يهابها جبابرة الإرض ويحميها ويشد من أزرها إيمان بأن الله غالب على أمره .

لقد درست في الصف السابع مقدمة عن الدعوة الإسلامية في مكة بمراحلها المختلفة . ثم تابعت مسيرة الدعوة الى تكوين دولة المدينة كنواه للدولة الاسلامية الكبرى وسوف نعرض في الأجزاء التالية من هذا الكتاب مراحل بناء الدولة الاسلامية الكبرى . بعد مرحلة الدعوة مع التركيز على انتشار الاسلام فى أفريقيا، وتكوين الممالك الاسلامية في هذا الجزء من العالم .

خلافة أبى بكر الصديق

(١١ – ١٣ هـ)

نسبه :

هو عبد الله عثمان بن عمر التيمي . كان يسمى فى فترة الجاهلية بعبد الكعبة، وقد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله ، كما سُمِّيَ بالصديق ، لأنه أول من صدق بالرسالة من الرجال ، وكُنِّيَ بابي بكر لأنه أول من بكر بالاسلام.

ولد رضي الله عنه بمكة المكرمة بعد سنتين من عام الفيل (٥٧١م) .

صفاته وحياته :

نشأ رضي الله عنه على الأخلاق الفاضلة والسيرة الكريمة ، ولم يكن يشابه قومه فى الكثير من عاداتهم وعقائدهم ، فهو لا يشرب الخمر ، ولايغلبه الهوى ولا تملكه الشهوة . وكان ثريّاً كريماً يعمل بالتجارة ، كما أنه كان عارفاً بأنساب العرب . وكان يدفع الديات والمغارم . أمَّا حياتُه في فترة الاسلام ، فقد كانت سلسلةً من التضحيات والجهاد ، فقد استخدم كل الوسائل لنشر الدعوة ، من حُجَّةٍ واقناع وبذل للمال في مساعدة الفقراء وعتق الرقاب , ونذكر ممن أعتقهم ، بلال بن رباح رضى الله عنه ، حيث وجده معَّذباً . وقد أسلم على يده رضى الله عنه عدد من أكابر الصحابة ، ومن هؤلاء عبد الرحمن إبن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان بن عفان ، وسعد بن أبى وقاص والزبير ابن العوام رضى الله عنهم.

ومجمل القول وصفوته قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ... وما نفعني مال أحد قط ؛ كما نفعني مال أبي بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، وان صاحبكم خليل الله . "

اجتماع السقيفة والبيعة :

بعد انتقال الرسول عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم إلى الرفيق الأعلى ، اجتمع الأنصار ، في سقيفة بني ساعدة في المدينة المنورة ، للتشاور في أمر الخلافة والبيعة لرجل منهم ، وهو الصحابي الجليل سعد بن عبادة سيد الخزرج. ولما علم المهاجرون بالخبر ، جاء اليهم كل من ابي بكر وعمر وأبي عبيدة رضى الله عنهم، وأوشك ان يقع بينهم خلاف يعصف بأمر المسلمين ، فخطب فيهم أبو بكر رضى الله عنه مبيناً أحقية قريش بهذا الأمر ، مبيناً دور الانصار فى الدعوة حتى اطمأنوا لحجته رضى الله عنه ، فعرض عليهم مبايعة عمر أو أبى عبيدة رضى الله عنه . ثم قام عمر رضى الله عنه وبايع أبا بكر رضى الله عنه بالخلافة ، ثم بايعه أبو عبيدة ، كما بايعه الصحابى الجليل بشير بن سعد رضى الله عنه وتتابع المسلمون بالبيعة فى السقيفة حيث عرفت هذه البيعة بالبيعة الخاصة . ثم كانت البيعة الكبري أو العامة ، في المسجد في اليوم التالي.

وبعد تمام البيعة قام أبو بكر رضى الله عنه في الناس خطيباً فقال (أيُّها الناس قد وَلِّيتُ عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأتُ فقوِّموني. الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع أحد منكم

الجهاد ، فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل . أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله) .

وهكذا أبان رضى الله عنه في أول خطبة له بعد توليه الخلافة ، منهجه في الحكم ، طالباً إعانته على الحق ، وتقويمه إن صرف أو حاد ، وفي هذا ضمان للحرية.

الردة في عهد أبي بكر رضى الله عنه :

بدأت بوادر الردة منذ عهد الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ولكنها كانت بوادر ضعيفة ، ومن الذين ارتدوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الأسود العنسى ، الذى ظهر باليمن ، وكان رجلاً من كهان اليمن ، محتالاً، يستخدم الشعوذة والدجل . وقد قتل فى خلافة أبي بكر الصديق . واستفحل أمر الردة وخطرها في بداية خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، وذلك للعديد من الأسباب نذكرها فيما يلي :

١. انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الدار الآخرة جعل القبائل العربية تفكر فى العودة الى حالتها الأولي قبل الإسلام ، إذ لم يتمكن الايمان فى نفوسهم (**قَالَتِ الأعراب آمنَّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخلِ الإيمان في قلوبكم**) (الآية ٤٠ سورة الحجرات) .

٢. البعد عن مركز الدولة .

٣. التآمر الخارجي المتمثل في دولتي الفرس والروم ، وقد كان لهاتين الدولتين نفوذ في بلاد العرب ومصالح اقتصادية وعسكرية .

٤. امتناع بعض القبائل عن أداء الزكاة .

٥. بوادر العصبية القبلية .

وقد اتخذت الردة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، شكلين هما الردة القريبة من عاصمة الدولة ومركز الدعوة ، ثم ردة القبائل البعيدة من مركز الدولة .

وقد قامت حركة الردة القريبة على الامتناع عن دفع الزكاة واحدثت خلافاً في الرأى بين الصحابة . وقد جمع أبو بكر رضى الله عنه أهل الرأى والشورى، وحسم الأمر بقوله : (والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم على منعه) . وقد قاد رضى الله عنه الجيوش بنفسه في هذه المرحلة ونزل على أهل الربدة بالأبرق ، حيث قاتل عبس وذبيان فغلبهم وأجلاهم عن مواقعهم . وقد إنتهت هذه المهمة برجوع بعض هذه القبائل إلى الإسلام ، بينما لحق البعض منهم بالمرتد طليحه بن خويلد الأسدى .

ثم واجه رضى الله عنه المرحلة الثانية من مرحلة حروب الردة ، فكوَّن لهذه المهمة أحد عشر لواءً .وكان طليحة بن خويلد ومسيلمة الكذاب من أخطر زعماء المرتدين .

١. **طليحة بن خويلد الأسدى** :

ادعى طليحة النبوة ونزول الوحى عليه ، وقد أجرى بعض التعديلات فى الاسلام بدعوى النبوة ، حيث منع الناس من الركوع والسجود ، كما منع الزكاة باعتبارها أتاوة لقريش . وقد بدأت الحرب معه بتخذيل القبائل عنه ، فابتعدت عنه قبيلة بنى أسد ، وقد تمكن خالد بن الوليد رضى الله عنه ، من الانتصار عليه ، وفر طليحة هارباً . ولحق بالشام ثم عاد إلى الاسلام فى ظل، خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

٢. **مسيلمة الكذاب** :

من قبيلة بنى حنيفة ، ادعى النبوة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد تجمَّع حوله الناس بأعداد كبيرة . اتبعوه عصبة وكراهية فى قريش . وكان الواحد منهم يقول : أشهد أن مسيلمة لكاذب وانَّ محمداً لصادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر . لعل هذا يوضح مدى العصبية القبلية المتمكنة فى النفوس ، وكانت ديار بنى حنيفة بأرض اليمامة . وقد أرسلت إليه الجيوش المسلمة بقيادة عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه ، ثم لحق به خالد ابن الوليد رضى الله عنه ، وقد التقى خالد رضى الله عنه بجيش مسيلمة ومن معه فى معركة عرفت باسم (حديقة الموت) نسبة لأن القتال دار في حديقة مملوكة لمسيلمة وقد كثر فيها القتلى من الجانبيين .وانجلت المعركة بانتصار المسلمين .

وهكذا كان لوقفة أبى بكر الصلبة وتصديه للمرتدين الأثر الكبير فى تثبيت أركان الدولة الاسلامية وتماسكها وبسط نفوذها بين قبائل الجزيرة العربية بعد أن تم القضاء على خطرالردة .

الفتوحات فى عهده : انظر الشكل (٢)

بدأ أبو بكر رضى الله عنه التفكير فى نشر الدعوة بعد انتهاء حروب الردة. وقد استهل فتوحاته بأن أنفذ أبو بكر رضى الله عنه الجيش الذي أعده الرسول صلى الله عليه وسلم بقيادة أسامة بن زيد إلى أطراف الشام ، على الرغم من معارضة بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، لإنفاذ هذا الجيش لصغر سن أسامة بن زيد رضى الله عنه الى جانب اضطراب أحوال الدولة الإسلامية بحركة الردة. وقد أنفذه أبو بكر رضى الله عنه ، قائلا لعمر بن الخطاب قولته المشهورة : (ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطاب . استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أعزله) . وقد تمكن أسامة من هزيمة من التقى بهم فى بلاد الشام.

الجبهة الفارسية :

كانت قبيلة بكر تتصدى للفرس في مناطق الحدود فى بسالة نادرة تحت قيادة المثنى بن حارثةٌ ، ولما جاءت الأخبار ببسالة المثنى ، قرر الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ان يُسَيِّرَ جيشاً بقيادة خالد بن الوليد لمناصرته ، وقد سار الجيش بقيادة خالد ، واستولي على الابلة وهى ميناء على الخليج العربى ، ثم التحم بجيش الفرس في موقع يقال له الحفير ، وقد تمكن من

الشكل (٢) : خريطة توضح الدولة الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق

هزيمتهم . وقد انتهت المرحلة الأولي بالاستيلاء على الحفير ، ثم تواصلت انتصارات المسلمين بعد ذلك فكانت موقعة الفراخي ، على الحدود بين الشام والعراق . وكان النصر حليفاً للمسلمين.

الجبهة الرومية :

كان أبوبكر رضى الله عنه قد أرسل جيشاً إلى بلاد الشام لمقاومة المرتدين بقيادة خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه ، ثم استعدت جيوش أخرى بقيادة كل من شرحبيل بن حسنة الى وادى الأردن ، وعمرو بن العاص الى فلسطين ، وأبى عبيدة بن الجراح الى حمْص ، ويزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهم الى دمشق . وقد تجمعت الجيوش ودخلت فى مواجهة مع الروم ، لكن جيوش المسلمين لم توفق فى هذه المرحلة ، إذ تغلَّب عليهم الروم بقيادة ماهان ، قائد جيوش الروم ، فرجعت الجيوش الى الحدود بقيادة عكرمة أبن أبى جهل ، وصدر أمر الخليفة الى القائد الصحابى الجليل خالد بن الوليد رضى الله عنه للتحرك من العراق الى الشام ليتولَّى قيادة الجيوش (توحيد القيادة) .

تحرك خالد رضى الله عنه من الحيرة متجها غرباً حتى دومة الجندل ثم سلك الطريق الأوسط الى الشام ، واتجه ناحية الشمال الغربى حتى وصل اليرموك ، حيث كانت تعسكر جيوش المسلمين . وفى اثناء اشتداد القتال فى هذه الموقعة جاء نعى الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وتولى الخلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب خطاباً بعزل خالد بن الوليد رضى الله عنه من قيادة الجيش ، وتولية أبى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه بدلاً عنه .

وكانت مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وبضعة أيام . وقد دفن رضى الله عنه فى حجرة السيدة عائشة أم المؤمنين بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا طويت صفحة ناصعة البياض حافلة بجلائل الأعمال .

أسئلة

١- كيف كانت نتائج اجتماع السقيفة ؟

٢- تحدث عن الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة أبى بكر الصديق .

٣- ما أسباب الرده ؟ وكيف تغلب أبوبكر على المرتدين ؟

أمير المؤمنين – الفاروق عمر بن الخطاب

(١٣ – ٢٣ هـ)

نسبه :

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن عُدى ، ويشترك نسبه مع الرسول عليه أفضل الصلاة وأتمَّ التسليم ، فى جده السابع من جهة الأب ، وفي الجد السادس من جهة الأم . لقَّبه الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بالفاروق، لأن الله فرَّق به بين الحق والباطل .

مولده ونشأته :

ولد بمكة المكرمة ، قبل حرب الفجَّار بحوالي أربع سنوات ، وكان ميلاده لثلاث عشرة سنة من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان منذ نشأته رضى الله عنه مثالاً للفصاحة ، والبلاغة ، والصراحة ، والجرأة فى قول الحق. وفي فترة الصغر ، كان رضى الله عنه يرعى لأبيه ، ثم عمل بالتجارة ، كما كانت له السفارة بين قريش والقبائل الأخرى . حارب الإسلام عند انبلاج نوره حرباً لا هوادة فيها ، ولما أسلم كان من أشدِّ المناصرين لدعوة الاسلام . صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معظم الغزوات .

أمّا فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، فقد كان بمثابة الوزير ، إذ ساعده في حروب الردة ، وفي الفصل في القضايا ، وفي جمع القرآن الكريم .

إسلامه :

كان عمر رضى الله عنه أشد الناس أذى للمسلمين . فلما كانت الهجرة الى الحبشة رأى الأذى الذى لحق بالمسلمين ورأى منهم الصبر والجلد على مفارقة الأوطان ، فرقَّ قلبه ، وبدأ يستمع الى الدعوة . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم أعَّز الاسلام بأحد العمرين . ويعنى بذلك أبا جهل ، عمرو ابن هشام وعمر بن الخطاب . وبفضل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم رقَّ قلب عمر ، واستمع لدعوة الحق ، فآمن وصدَّق بعد الحادثة الشهيرة مع اخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها ، وذهب لدار الأرقم حيث التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد شهادة الحق .

أعلن عمر رضى الله عنه إسلامه على ملأ من قريش فى البيت الحرام ، و في أنديتها ، فلحقه الأذى من المشركين ، حتى أجاره العاص بن وائل السهمى. ولما كانت الهجرة الى المدينة خرج رضى الله عنه علناً قائلا للقوم: (من أراد أن تثكله امه ويبتم أطفاله ويرمّل زوجته ، فليلحقنى وراء هذا الوادى) . فلم يجرؤ أحد أن يتبعه .

وبعد الاسلام صحب عمر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن الصحبة ، وكان عليه الصلاة والسلام يستشيره فى الكثير من الأمور . وكان القرآن فى بعض المواقف ينزل موافقاً رأى عمر رضى الله عنه.

مبايعة عمر بالخلافة :

بويع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالخلافة بعد وفاة ابى بكر رضى الله عنه . وكان أبو بكر قد عهد اليه بالخلافة بعد ان استشار كبار الصحابة . ولما بُويع له بدأ عهده وسياسته بالحزم والشدة على عمَّاله . فكان مهتماً بأمر الرعية رفيقاً بها ، مهتماً بكل ما يصلح شؤونها . يحس بعظم المسؤولية الملقاة عليه . وكان رضى الله عنه يقول : (لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات لخشيت أن يَسأل الله عنه آل الخطاب) .

الإدارة فى عهده :

كان رضى الله عنه من الخلفاء القدوة في تاريخ الاسلام والمسلمين وقد عرف عهده بالعدل في ادارة الدولة ، إذ كان يحاسب الولاة إنصافاً للرعية . وقد كان رضى الله عنه ، نموذجاً يحتذى به في ادارته وعدله ، والتاريخ شاهد على ذلك . وفيما يلي نماذج لما شهده عهده من منشأت :

١. أسس مدينة البصرة فى سنة ١٦هـ فأصبحت من أهم المراكز التجارية في العالم فيما بعد .
٢. شيد مدينة الكوفة سنة ١٧هـ فأصبحت عاصمة للدولة الاسلامية فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب .
٣. بنى مدينة الفسطاط سنة ٢٠هـ فأصبحت حاضرة البلاد المصرية
٤. أول من أنشأ الدواوين فى البلاد الاسلامية .

ومن الشواهد على عدله وحسن إدارته ما يلي :

١. كان رضى الله عنه إذا أمر بشئ أو نهى عنه ، بدأ في التنفيذ بأهله .

٢. كان رضى الله عنه يقبل الشكاوى ضد عماله في الولايات ، فالوالى عنده فرد من أفراد الأمة ، يجرى عليه حكم العدل ، لذا فقد حقق مع بعض وُلاتهِ ، ومنهم الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه . وكان محمد بن مسلمة رضى الله عنه من كبار المحققين مع الولاة في عهد عمر بن الخطاب .

٣. كان رضي الله عنه يحاسب عماله في موسم الحج ، وعلى مشهد من الناس، وعليه فقد إنصرف الولاة إلى تجويد أعمالهم ، حتى يتجنبوا محاسبته .

٤. كان رضى الله عنه إذا ظهرت على بعض ولاته إمارات الثروة والسعة ، وهو على رأس العمل ، أخذ منه نصف ما لديه من أموال ، ووضعه فى بيت مال المسلمين ، وهذا نموذج لولاتنا فى مختلف بقاع العالم الاسلامي أن يسيروا على نهجه لتحقيق قيم الطهر ، والبعد عن شبهة الثراء الحرام على حساب المنصب .

خلاصة القول أن عمر رضى الله عنه ، كان عفيفاً عن مال المسلمين . وقد أخذ نفسه وأهل بيته بالشدة ، ومنعهم من أن ينتفعوا بشئ من مال المسلمين. كما كان رضى الله عنه محباً للرعية كارهاً لما يفرقها ، عادلاً ومساوياً

بين أفرادها، لَيِّناً من غير ضعف ، قوياً من غير عنف ، متفانياً فى مصلحة الرعية . وبهذا النهج فقد وضع رضى الله عنه النموذج الذي ننشده .

القضاء في عهده :

أمَّا في مجال القضاء فقد عين رضى الله عنه قضاة مستقلين عن الولاة للفصل بين الناس في الخصومات ، وأبرز من تولي القضاء في عهده ، الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضى الله عنه . وقد اعتبرت الرسالة التى وجهها رضى الله عنه الى أبى موسى الاشعري رضى الله عنه أساساً للنظم القضائية عند الجمهور من قضاة المسلمين ، وقد جاء في الرسالة : (أمّا بعد – فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فأفهم إذا أولي اليك فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك ، ولاييأس ضعيف في عدلك ، فالبينة على من ادعي واليمين على من أنكر ... الخ) وقد تمرس رضى الله عنه على فن الادارة والقضاء قبل الخلافة . لذا فقد كانت إدارته رضى الله عنه مزيجاً من الخبرة والدراية ، فضلاً عن الاعداد السليم فى مدرسة النبوة ، على صاحبها ، أزكى الصلاة وأتم التسليم .

الفتوحات في عهد عمر : انظر (الشكل رقم ٣).

الجبهة الفارسية :

فكر الفرس في مهاجمة المسلمين بعد الهزيمة التى لحقت بهم في موقعة القراض ، فاستعدوا للقتال ، وواجههم المسلمون بقيادة المثنى بن حارثة ، في موقع يسمى النمارق بين الحيرة و القادسية .

وقد تمكن المسلمون من هزيمة الفرس ، ورغم الهزيمة فقد جمعوا قواتهم مرة أخرى والتقوا بالجيش المسلم بقيادة أبى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه ، فكسب الفرس المعركة ، وانسحب المُسلمون الى بادية العراق ينتظرون المدد من الخليفة عمر بن الخطاب . وبعد التشاور قرر أمير المؤمنين أن يبعث جيشاً بقيادة سعد بن أبى وقاص لإنقاذ الموقف .

موقعة القادسية :

سار سعد رضى الله عنه فى جيش بلغ تعداده نحو ثلاثين ألف مقاتل ، حتى وصل القادسية ، وكان بها جيش بقيادة قابوس بن قابوس بن المنذر الذي تجمع حوله بعض الأعراب لمعاونة الفرس .

ظل سعد في انتظار المعركة شهراً كاملاً على حالة من الترقب والحذر ، وبعد وصول الجيش الفارسى بقيادة رستم في عدد كبير من المقاتلين إلى القادسية، وقع الصدام بين المسلمين والفرس .

وكان الجيش الاسلامى يضم في تكوينه أعداداً من كبار الصحابه وظل سعد رضى الله عنه يُزهِّدهم في الدنيا ويُرغبهم في الآخرة ويحذرهم الفشل والضعف أمام الأعداء . وفي أثناء المعركة هبت ريح عاصفة تمكن المسلمون خلالها من

اقتحام معسكر الفرس وقتل قائدهم رستم . واعداداً كبيرة منهم ، بينما استُشهد بعض من المسلمين . وتعد هذه الموقعة موقعة فاصلة بين المسلمين والفرس ، إذ ضعفت الروح المعنوية للفرس .

توجه سعد رضى الله عنه بعد القادسية بشهرين الى المدائن عاصمة الدولة الفارسية ، فتم فتحها ، فى ذي الحجة سنة ١٤هـ ، وقد حمل المسلمون من المدائن الكثير من الغنائم ، وبُعِثَ بالأخماس وذخائر كسرى الى عاصمة الدولة الاسلامية ، وأصبحت المدائن قاعدة للأعمال الحربية بفارس والمشرق ، وتولى أمر الخراج فيها النعمان بن مقرن ، وأخوه سويد رضى الله عنهما . واستمرت الفتوحات حتى بلغت الموصل ، ثم جاء الأمر من أمير المؤمنين عمر ، رضى الله عنه ، بعدم التوغل فى داخل بلاد فارس ، حرصاً على سلامة المسلمين .

معركة نهاوند :

في الفترة التى توقف فيها سعد رضى الله عنه عن التوغل في بلاد فارس ، تَجمَّع الفرس مرة آخرى فكتب سعد الى أمير المؤمنين طالباً الرأى . وفى أثناء ذلك ، عُزلَ سعد رضى الله عنه بشكوي من أحد أفراد الجند ، ليتولي النعمان بن مقرن رضى الله عنه أمر الجيش ، فكانت موقعة نهاوند وهزيمة الفرس ، وتدمير قوتهم وفتح سائر الأنحاء في بلادهم .

الشكل (٣) : خريطة توضح الدولة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

الفتوحات في بلاد الشام : انظر شكل (٣).

تولى قيادة جند الشام أبو عبيدة عامر بن الجراح ، بدلاً من خالد ابن الوليد رضى الله عنهما ، فأصبح خالد جندياً في جيشه .

اجتمع جيش الروم في بلدة فحل ، بينما بدأ المسلمين من دمشق ، فتم الحصار في محرم سنة ١٤هـ ، وتم فتحها حرباً ، بينما عُقِدَ صلح بين بعض الأجزاء منها. ثم بدأ الاستعداد للموقعة الفاصلة مع الروم ، وهي موقعة اليرموك .

موقعة اليرموك :

تَجمَّع الجيش المسلم في اليرموك ، وهو وادى ذو سهل فسيح ، على حافة صحراء الأردن ، وذلك استعداداً للمعركة الفاصلة مع الروم ، بينما عسكر جيش الروم عند بحيرة الحولة ، في عدة وعتاد يفوق جيش المسلمين، في شمال النهر ،بينما عسكر جيش المسلمين في جنوب النهر . وقد عرض الروم الأموال على المسلمين خشية اللقاء إلا أن المسلمين رفضوا ذلك . وأخيراً التقي الجيشان في سهل يمتد جنوب شرق اليرموك ، ودارت رحي القتال ، وحَمِيَ الوطيس ، حتى أضطرت المسلمات الى الاشتراك في الحرب ، وقيل أنهن يسابقن الرجال في القتال . وكتب الله النصر للمسلمين ، في رجب من عام ١٥هـ . ثم اعقبها حصار حمص التى فتحت صلحاً ، وقنسرين ، ثم حلب ثم واصل جيش المسلمين فتوحاته . وقد اتجه جيش آخر جنوباً نحو بيسان والأردن وفلسطين ، حيث كان يعسكر معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه هناك .

وحول مدينة القدس ، التقي جيش عمرو ومعاوية رضى الله عنهما، وفُرضا الحصار على القدس حتى فُتِحَتْ صلحاً بحضور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الذى كتب كتاباً لأهلها ، في أواخر سنة ١٥هـ حيث أَمَّنَهُم على أرواحهم وممتلكاتهم .

فتح مصر :

بمبادرة من الصحابى عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وافق الخليفة عمر بن الخطاب ، على فتح مصر لنشر الدعوة ، لتأمين بلاد الشام ، وإبعاد خطر الروم ، والاستفادة من خبرتها .

لهذا بدأ زحف الجيش المسلم بقيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه من جنوب فلسطين فوصل العريش ومنها إلى القرما على البحر الابيض المتوسط ، وبعد فتحها تقدم نحو بلبيس ثم الى أم دنين ، وهى تقع في مكانة حديقة الأزبكية في مدينة القاهرة حالياً ، ثم تقدم الجيش الى عين شمس ، نحو حصن بابليون ، حيث دارت مفاوضات الصلح مع المقوقس ، كبير القبط وتم الصلح .

ولما حاول الروم التدخل ، تمت هزيمتهم بالقرب من الاسكندرية ، وتم فتحها ، وأصبح أهلها أهل ذمة وتمت هزيمة الروم ، وعليه قد فُتِحَتْ مصر في سنة ٢٠هـ .

ومن ثم فإن فتح مصر أعاد الأمن والنظام للبلاد ، ونظمت الإدارات وأقيم القضاء ، وأحسنت معاملة القبط ، وأطلقت لهم حريتهم الدينية ، إذ كانوا مضطهدين من قِبل الروم . فتحسنت حالتهم الاقتصادية بعد أن خُفِّضَتِ الضرائب الباهظة ، فزادت ثروتهم . وقد خُيِّر القبط بين الاسلام أو البقاء على دينهم ،

وفضَّلوا دينهم . وهكذا يظهر لنا جلياً نهج الاسلام وتسامحه نحو أصحاب الديانات الأخرى (أهل الذّمة) .

صفات عمر :

كان رضى الله عنه أشد الناس مجاهرة برأيه في الدين حتى قيل : ماعُبِدَ الله جهرة حتى أسلم عمر – فضلاً عن ذلك ، فقد اشتهر رضى الله عنه بالزهد والتواضع والبساطة في الملبس والسكن والمأكل ، وكان نافذ البصيرة حسن التقدير لأمور الأمة .

على الرغم مما تقدم فقد استشهد رضى الله عنه بطعنة خنجر في مؤامرة حاقدة على يد فيروز الديلمى الملقب بأبي لؤلؤة ، الذى كان غلاماً للمغيرة ابن شعبة رضى الله عنه . وقد لقي عمر رضى الله عنه ربه في شهر ذى الحجة عام ٢٣هـ بعد خلافة دامت عشر سنوات وستة أشهر .

وهكذا ختمت حياة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان أعظم رجال السياسة والادارة وضرب اروع مثال للحاكم القدوة الحسنة في الدولة الاسلامية.

أسئلة

١. تحدث عن ادارة الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب مبيناً أبرز المنشآت .
٢. لماذا اعتبرت الرسالة التي وجهها عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه اساساً للنظم القضائية عند جمهور الفقهاء ؟
٣. اذكر المعركة التي شاركت فيها المسلمات في القتال إلى جانب الرجال؟ وما دلالات ذلك ؟

امير المؤمنين عثمان بن عفان

(٢٣ هـ – ٣٥ هـ)

هو عثمان بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس . ولد رضى الله عنه في العام الخامس من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم .

نشأته وصفاته :

اشتهر رضى الله عنه بالعِفَّةِ والحياء والكرم ، وكان من السابقين الأولين للاسلام ، وكان إسلامه على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه . كان من أوائل المهاجرين الى الحبشة ، ثم هاجر الى المدينة بعد العودة من الحبشة ، وشارك مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، في كل الغزوات ، عدا بدر ، حيث كان ممارضاً لزوجته . وكان سفيراً للرسول صلى الله عليه وسلم عند صلح الحديبية . وكانت بيعة الرضوان من أجله حينما أشيع قتله .

من مآثره رضى الله عنه أنه جهز جيش العسرة ، وهو الجيش المتجه الى تبوك ، وفي تجهيز جيش العسرة نموذج ينبغى اتباعه في إعداد الجيوش المجاهدة في مختلف العهود في بلدان العالم الاسلامى . كما أنه رضى الله عنه اشترى بئر رومة وجعلها صدقة للمسلمين ، حين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من يشترى بئر رومة وله فيها شربة في الجنة) . عمل كاتباً للوحى بين يدي رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وأفضل من قرأ القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم . وكان من رواة الحديث .

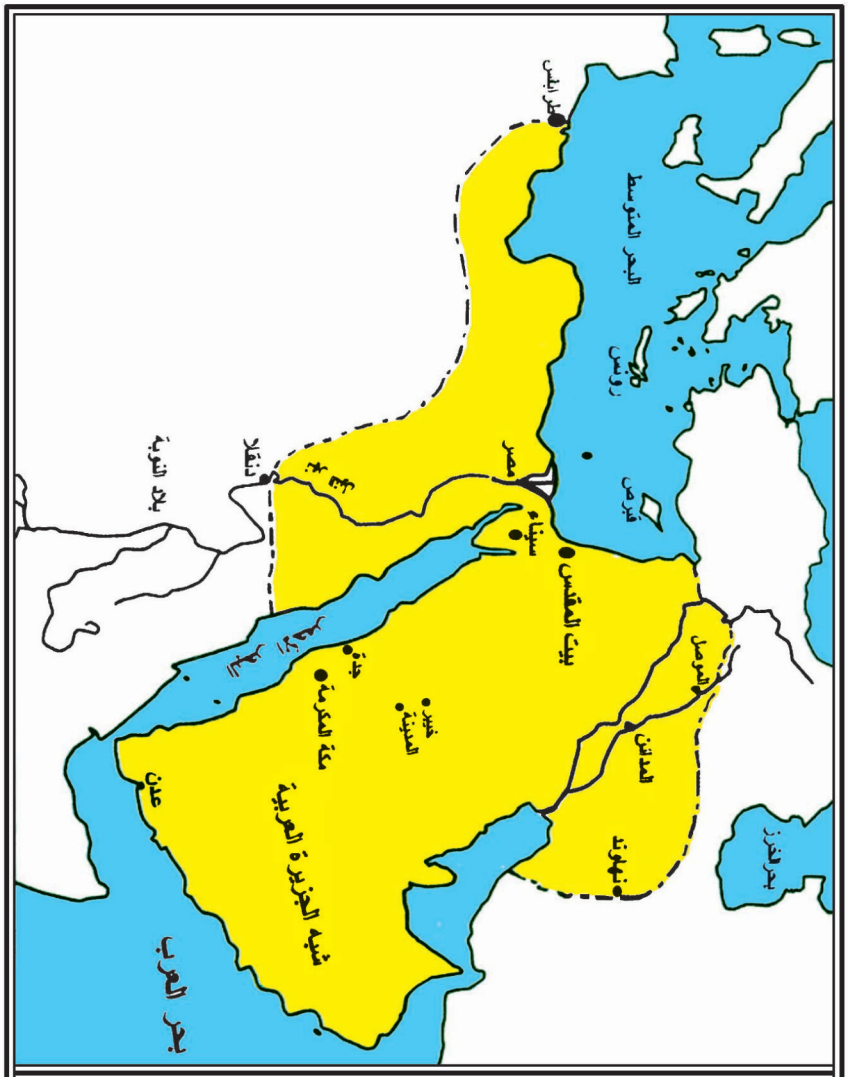

الشكل (٤) : خريطة توضح الدولة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان

بيعته :

لمَّا طُعِنَ عمر رضى الله عنه ، وقبل وفاته ، جعل الشورى لاختيار الخليفة في ستة نفر من الصحابة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راضٍ عنهم ، وهم : على بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وسعد ابن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العَّوام ، وطلحة ابن عبيد الله رضى الله عنه ، وانحصر الأمر بين على وعثمان رضى الله عنهما ، وحسم بالبيعة العامة لسيدنا عثمان رضى الله عنه فى آخر ذى الحجة عام ٢٣هـ .

وبعد تمام البيعة خطب عثمان رضى الله عنه في جماعة المسلمين مبيناً لهم جملة من النصائح تتعلق بالدين والسياسة ، ثم كتب بعد ذلك لولاته ، والقواد وعمال الخراج يحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . كما أوصاهم رضى الله عنه ،بالعطف على أهل الذمة في جباية الخراج مع العدل والانصاف.

الفتوحات في عهده : انظرشكل (٤) .

تتابعت الفتوح في عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه . ففى الشرق خرجت فارس على سيادة الدولة الاسلامية ، فسار اليهم عبد الله بن عامر رضى الله عنه عامل البصرة ، وقضى على الفتنة ، وفتح خراسان وأعاد سلطان الدولة في كرمان وسيجستان . وفي عام ٣١هـ قُتِلَ يزدجر ملك الفرس على يد بعض الفرس ، كما تمكن سعيد بن العاص رضى الله عنه من فتح طبرستان ، بينما

عَبَرَ الأحنف بن قيس نهر جيحون ، ووصل الى بلاد ماوراء النهر ، وتوغل فى طخارستان .

ولما ولى عبد الله بن ابي السرح رضى الله عنه مصر ، فكر في فتح شمال افريقيا ، فأذن له الخليفة ، فغزا دنقلا فى عام ٣١هـ وعقد صلحاً اقتصادياً وسياسياً مع النوبة ، وهو ما أُطْلِقَ عليه معاهدة البقط .

وفى عهد عثمان رضى الله عنه ، امتلكت الدولة الاسلامية أول اسطول بحرى تحت إمرة عبد الله بن قيس بن الحارث ، أول أمراء البحر في الدولة الاسلامية ، وبهذا الأسطول حارب معاوية الروم وبلغ عمورية واستولى على جزيرتي قبرص ورودس في عام ٢٨هـ .

وفي عام ٣٤هـ كانت المعركة المعروفة بذات الصوارى بين المسلمين والروم في البحر الابيض المتوسط بالقرب من مدينة الاسكندرية ، إذ حاول الروم استرجاع مصر . وقد عرفت بهذا الاسم لكثرة السفن التى اشتركت في المعركة . وكان النصر حليفاً للمسلمين .

للنقاش :

- لماذا قام المسلمون ببناء اسطول حربي ؟ وفيم استخدم هذا الاسطول ؟

أمير المؤمنين على بن ابي طالب

(٣٥ هـ – ٤٠ هـ)

نسبه ونشأته :

هو أمير المؤمنين على بن ابي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف إبن قصي بن كلاب ، ولد بمكة قبل البعثة المحمدية بعشر سنوات . ابن عم الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ومن أوائل الذين لبوا دعوة الاسلام واسلم قبل أن يبلغ العاشرة من عمره ولم يسجد لصنم قط ؛ وقد بات في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ، مُعَرِّضاً نفسه للخطر . تزوج فاطمة بنت رسول الله عليه السلام .

وبعد استشهاده رضى الله عنه خلفه ابنه الحسن رضى الله عنه لمدة ستة أشهر . ثم جري بينه وبين معاوية رضى الله عنه اتفاق تخلي بموجبه الحسن رضى الله عنه عن الخلافة في عام ٤١هـ .واتفق المسلمون على خلافة معاوية. وقد عُرِفَ هذا العام بعام الجماعة.

الدولة الإسلامية في عهد بنى أمية

(٤١– ١٣٢هـ)

تُنْسَبُ الدولة الأموية الى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، جد معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية ، أول الخلفاء الأمويين .

معاوية بن ابي سفيان : (٤١ – ٦٠هـ)

بدأ عهد الدولة الاموية بمعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ، الذي ولد بمكة المكرمة قبل البعثة النبوية بخمس سنوات . أسلم يوم فتح مكة وعمره ثلاث وعشرون سنة . وبعد فتح مكة عمل معاوية رضى الله عنه كاتباً للوحى، وتولى قيادة الجيوش المتجهة الى الشام مدداً لأخيه يزيد في خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . أصبح والياً على دمشق في عهد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، وجمعت له ولاية الشام في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان . ظل والياً على بلاد الشام حتى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان .

كانت بينه وبين الامام على موقعة صفين ، التى انتهت بالتحكيم . وبعد مقتل الامام على ، انتقلت الخلافة إلى معاوية في العام المعروف بعام الجماعة سنة ٤١هـ ، حيث بويع في هذا العام بالرضا من جميع الأمة عدا الخوارج . وتم نقل عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة المنورة الى دمشق .

تولى معاوية أمر الأمة ، وكانت منقسمة إلى ثلاثة فرق : شيعة بني أمية من أهل الشام، وشيعة على بن أبي طالب ، والخوارج . لذا فقد كان أمر الأمة يحتاج

إلى الحكمة والحلم وشدة الاحتمال والصبر ، وقد استخدم معاوية كل هذه الأمور لتثبيت دعائم الدولة وأركان الحكم .

أشهر ولاته :

استعان معاوية رضى الله عنه ، بولاة أشداء ، اشْتُهِرُوا بالحنكة والدهاء . وكان أبرزهم عمرو بن العاص رضى الله عنه ، والى مصر ، ثم المغيرة ابن شعبة الثقفي رضى الله عنه ، الذي أصبح والياً على الكوفة ، ومن ولاة معاوية أيضاً الذين اشتهروا بالشدة زياد بن أبيه ، الذى تولي أمر البصرة عام ٤٥هـ واشتهر بخطبته (البتراء) ، وقد تولي أمر الكوفة بعد وفاة المغيرة بن شعبه .

الفتوحات في عهده :

حفل عهد معاوية بالعديد من الأعمال العظيمة ، ليس في السياسة والإدارة فحسب ، بل اتسعت الدولة الإسلامية في عهده . فمن جهة الشرق ، تم فتح هرات وخوارزم ، وتمَّ الاستيلاء على بعض بلاد الهند والسند ، وتمت مهاجمة بخارى وسمرقند .

وفي جهة الغرب ، اتجه عقبة بن نافع من برقة نحو افريقيا (تونس) ، وأسلم على يديه الكثير من البربر ، وبني مدينة القيروان ، وأقام المسجد الجامع. وسار حتى وصل المحيط الأطلسى . وبعد أن عُزلَ ، عقبة ، خلفه أبو المهاجر دينار على مصر وافريقيا . وفي عهد معاوية أتسع الأسطول البحرى ، وتمكن به من ضم العديد من الجزرفي البحر الأبيض المتوسط .

أما من ناحية الشمال ، حيث تقع الدولة البيزنطية ، فقد رتب معاوية الشواتى والصوائف ، وهي عبارة عن (حملات عسكرية فى فصلي الشتاء والصيف لحماية الثغور) . وتمَّ حصار القسطنطينية فى الفترة من ٥٤هـ وحتى ٦٠هـ .

توفي معاوية في رجب سنة ٦٠هـ .

يزيد بن معاوية : (٦٠ – ٦٣هـ)

تولى الخلافة بعد وفاة والده . وقد نشأ في البادية على الفصاحة والكرم وحب الشعر وقد امتنع عن البيعة له الحسين بن على ، وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، وقد تمكن من أخذ بيعة ابن عمر وابن العباس رضى الله عنهما ، وقد تصاعد الخلاف بينه وبين الحسين بن على .

خرج الحسين رضى الله عنه قاصداً الكوفة على رأس ثمانين رجلاً وفي الطريق ، التقت به القوة التى أرسِلَتْ من قبل يزيد ، فما كان منه إلا أن انحاز الى كربلاء فنشب القتال في ١٠ محرم من عام ٦١هـ وكان جيش يزيد بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص وفي كربلاء قاتل الحسين ومن معه فَقُتِلُوا جميعاً ، ولم يبق إلا النساء والاطفال .

مروان بن الحكم : (٦٤ – ٦٥هـ)

هو مَرَوَان بن الحكم بن أبي العاص ، ولد في السنة الثانية من الهجرة . وفي ظل خلافة معاوية ، أصبح والياً على المدينة ، وقيل إنه تولاها لفترتين .

كان مَرَوَان من أهل الفصاحة والرأى والشجاعة ، كثير التلاوة للقرآن كما روى الحديث عن كثير من الصحابة . وإلى مَرَوَان يرجع الفضل في ضبط المقاييس والموازين . وتمت له البيعة في مؤتمر الجباية سنة ٦٤هـ . ولم تطل مدة خلافته ، إذ توفي في رمضان من عام ٦٥هـ ، وعهد بالخلافة لأبنه عبد الملك .

عبد الملك بن مروان : (٦٥ – ٨٦هـ)

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس. ولد سنة ٢٦ هـ . عرف بالتدين والشهامة ، حفظ القرآن وقرأ علوم الفقه والتفسير والحديث ، كان فصيحاً وعالماً وأديباً ، كما عرف بالحزم والصفات الحميدة .

الدولة الأموية في عهده :

كانت الدولة عندما تولي أمرها في حالة اضطراب شديد ، كاد يؤدى إلي زوالها. والدليل على ذلك أن الحجاز كان به عبد الله بن الزبير ، أما بلاد العراق فقد كانت بها فرق ثلاث :

١- زبيرية مع ابن الزبير ٢- شيعة مع آل البيت ٣- والخوارج

وقد تمكن عبد الملك من فرض النظام في الدولة في حوالى سبع سنوات ، فأصبح بذلك المؤسس الثاني لدولة بني أمية . وفي مصر استتب الأمن وانتشر الاسلام بفضل الجهود التى بذلها عبد العزيز بن مروان الذي كان من خير الولاة في العهد الأموى وذلك لحسن سياسته وتدبيره والاصلاحات التى حققها .

وجّه عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي إلى الحجاز ، الذي اصبح والياً على مكة حتى عام ٧٥هـ فتمكن من أعادة الأمور إلى نصابها ، ثم تولى بعدها إمارة العراق ، فسار اليها قاصداً الكوفة ، وخاطب أهلها من منبر المسجد متوعداً أهل العراق في خطبتة الشهيرة التى جاء فيها : (أنا إبن جلا وطّلاع الثنايا ، متى أضع العُمامة تعرفونى) . فأبان الحجاج في هذه الخطبة سياسته المبنية على الحزم ؛ ثم اتجه إلى البصرة ، وخاطب أهلها كما فعل في الكوفة ، وقدّم العون للمهلب بن أبى صفرة في حربه للخوارج .

وتمكن الحجاج من فرض هيبة الدولة فى بلاد العراق ، وتوطيد دعائم الملك ونشر الأمن ، كما أخضع بلاد خراسان ، واسند ولايتها الى المهلب ابن أبي صفره ، الذي قام بالعديد من الفتوحات في تلك البلاد .

وقد شهدت فترة عبد الملك اتساع الدولة الإسلامية ، حيث فتح قيسارية وقالقيلا في سنة ٨٤هـ .

ومن أعماله أنه أنشأ داراً لسك العملة الاسلامية ، حيث ضربت الدراهم والدنانير في عام ٨٤هـ .

وفاته :

تولى عبد الملك رضى الله عنه أمر الأمة المضطرب فاستقامت له . وقد أمتدت خلافته لحوالي أحدى وعشرين سنة ، إلى أن توفاه الله في دمشق ببلاد الشام ، في منتصف شوال من عام ٨٦هـ ، الموافق لشهر اكتوبر عام ٧٠٥م .

الوليد بن عبد الملك : (٨٦ – ٩٦هـ) :

ولد فى سنة ٥٠هـ . بويع بالخلافة بعد وفاة والده . وكانت خلافته غرة في جبين الدولة الأموية ، لما قام به من اصلاحات وفتوحات ، اشتهر فيها قواد عظام، أضافوا بلداناً واسعة لرقعة الدولة الاسلامية .

وقد قام الوليد بالعديد من الاصلاحات ، حيث أصلح الطرق وسهَّل السبل في الحجاز و أقاليم الدولة الأخرى ، كما حفر الآبار . ومن أعماله في المعمار، أنه قام بتوسعة المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، وأدخل فيه حجرات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما بني جامع دمشق ، وهو المسجد المعروف بالمسجد الأموي ، الباقى الى يومنا هذا . إضافةً لذلك ، فقد حجر الوليد على المجزومين حجراً صحّياً ، وأجزل لهم العطاء ، وأعطى لكل مُقْعَدٍ خادماً يحمله ، ولكل ضرير قائداً . وفي عهده تولى عمر بن عبد العزيز إمارة المدينة فأحسن السيرة في أهل المدينة . وقد كان الخليفة الوليد حسن المعاملة للرعية محّباً للعلماء.

الفتوحات في عهده : انظر الشكل (٥).

استمرت الفتوحات في عهده رضى الله عنه ، فأضيفت للدولة الاسلامية بلدان واسعة ، كان لها عظيم الأثر في انتشار الإسلام واللغة العربية ، وازدهار الحضارة الاسلامية . وفيما يلى استعراض للأمصار التى دخلت تحت نفوذ الدولة الإسلامية .

اقليم ما وراء النهر :

بدأ التفكير في فتح هذا الاقليم منذ عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقد تم فتحه على يد القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلى ، الذى احتل بلخ فى عام ٨٦هـ، وغزا بيكند فى عام ٨٧هـ . ثم واصل فتوحاته حتى استولي على بخارى في ٨٩هـ وخوارزم في ٩٣هـ ثم سمرقند ، فمد حدود الدولة الى أواسط آسيا ، وعبر نهر جيحون ، ووصل الى فرغانة ونهر سيحون . وقد تتابعت فتوحات قتيبة حتى قرب حدود الصين .

وبفتح هذا الاقليم اعتنق السكان الاسلام ، وقد أثرى هذا الاقليم الحضارة الاسلامية بعلماء أفذاذ ، كالفارابى ، والخوارزمى والبخارى ، وغيرهم من الاعلام .

اقليم السند :

تم فتحه على يد القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفى ، الذى سار إلى الهند في عام ٨٩هـ ، وقد تمكن من فتحها واتصل المسلمون بأهل الهند ، ونقلوا منهم الكثير من العلوم ، كالفلسفة والرياضيات .

شمال افريقيا :

قصة فتح شمال افريقيا ، ارتبطت بموسى بن نصير ومولاه طارق ابن زياد البربرى . تحرك موسى بن نصير وقائده طارق الى شمال أفريقيا وبسط نفوذ الدولة في بلاد المغرب حتى مدينة طنجة .

وكانت بلاد البربر جبلية صعبة المنال ، تمرَّس أهلها في فنون الحرب والغزو ، لذا فقد لقى المسلمون مشقة فى فتح شمال افريقيا .

وصل موسى فى فتوحاته حتى شاطئ المحيط الأطلسى ، وقضى على نفوذ البيزنطيين ووصل مدينة سبتة ، ونشر القرآن وأدخل البربر في الدين الإسلامى .

الأندلس :

اتجهت الأنظار نحوها بعد استقرار المسلمين في بلاد المغرب ، وكانت تعرف باسم فاندلوسيا أىْ بلاد الوندال ، ثم سكنها القوط ، الغربيون وسماها المسلمون بالأندلس ، كما عُرفَت بشبه جزيرة ايبريا .

تمكن المسلمون من فتحها بعد ان استعان الأمير جوليان (أحد أمراء الأندلس) بموسى بن نصير ضد الملك فردريك . أعِدَّتْ الحملة بقيادة طريف إبن مالك فى عام ٩١هـ - ٧١٠م ، ثم لحقه جيش آخر بقيادة طارق بن زياد حاكم طنجة ، فى عام ٩٢هـ ، وقد تمكن هذا الجيش من عبور الخليج الذى يفصل بين أفريقيا والأندلس ، في المكان الذى يُعرف اليوم باسم مضيق جبل طارق . تتابع السير كما تتابع المدد من قِبَلِ موسى بن نصير . وقد التقى الجيشان في منتصف

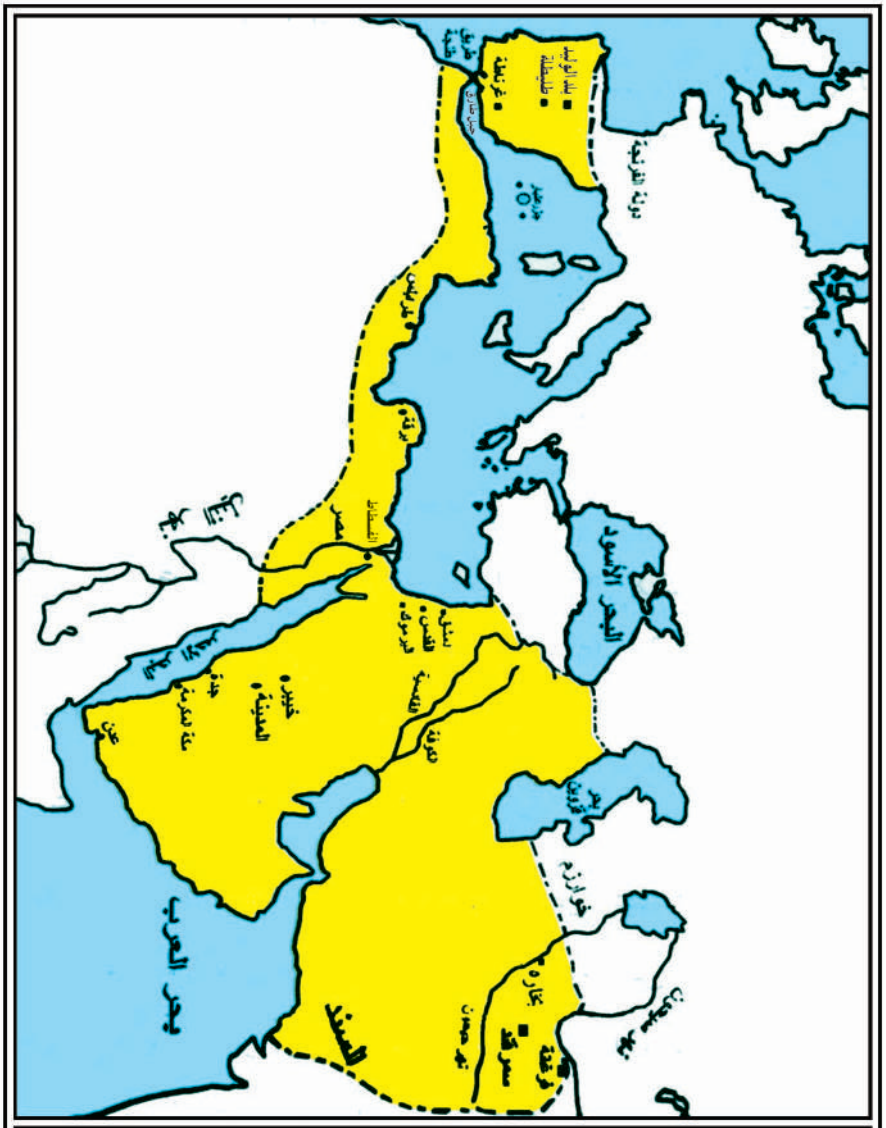

الشكل (٥) : خريطة توضح الدولة الإسلامية في عهد الوليد بن عبد الملك

رمضان من عام ٩٢هـ ، وتم النصر للجيش المسلم بقيادة طارق بن زياد ، ثم جاء موسى بن نصير ، واستولى على اشبيلية ، أعظم مدن الأندلس ، وحاضرتها . ثم سارت الجيوش عبر أسبانيا حتى وصلت جبال البرانس ، وعبرت إلى فرنسا .

وهكذا يتضح أن عصر الوليد ، الذي توفى عام ٩٦هـ ، كان من أزهر عصور الدولة الأموية .

وبعد وفاة الوليد ارتقى عرش الخلافة سليمان بن عبد الملك ، في الفترة ما بين (٩٦ – ٩٩هـ) . إستطاع سليمان في فترة خلافته - على الرغم من قصرها - أن يصل الى عمورية فى آسيا الصغرى ، كما حاصر مدينة القسطنطينية . وكانت وفاته في صفر من عام ٩٩هـ ، وشهدت فترته بوادرالانقسامات بين الامويين . وقد خلفه عمر بن عبد العزيز .

عمر بن عبد العزيز :(٩٩ – ١٠١هـ).

عهد سليمان بالخلافة من بعده لعمر بن عبد العزيز ، وذلك لورعه وحفظه للعهود والمواثيق . وقد شهدت فترة عمر بن عبد العزبز العديد من الانجازات . وينتمى عمر بن عبد العزيز الى الخليفة عمر بن الخطاب من جهة الأم ، إذ أن أمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

نشأ عمر مع والده عبد العزيز بن مروان بمصر ، حينما كان والياً عليها، وتلقى العلم بالمدينة المنورة . وقد تولى ولاية الحجاز في عهد عبد الملك ابن مروان وابنه الوليد . وفي تلك الفترة قام بتجميل المسجد النبوى الشريف .

ومن أبرز انجازاته أنه قام بعزل الولاة الذين اشتهروا بالظلم ، كما قام بنشر دعوة الاسلام بالحسنى ، فكتب إلى ملوك الهند والسند وما وراء النهر ، والى ملك الروم ، يدعوهم الى الدخول في دين الاسلام . ودفع الجزية لمن دخل في الاسلام ، كما حاول رضى الله عنه استمالة الخوارج .

تتالت الخلافة في أفراد البيت الأموى ، فكانت خلافة هشام بن عبد الملك عام (١٠٥ – ١٢٥هـ) ، الذي قام بنقل عاصمته الى الرصافة شمال شرق الشام ، وبوفاته بدأ الضعف في دولة بني أمية . ثم خلفه الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعروف بالوليد الثاني (١٢٥هـ - ١٢٦هـ) وجاء بعده ابنه يزيد (١٢٦هـ – ١٢٧هـ) ، ثم كانت خلافة مروان ابن محمد (١٢٧هـ – ١٣٢هـ)، آخر خلفاء الدولة الاموية الذي شهد عهده الاضطرابات والفتن التى أدت الى انهيار الدولة .

أسئلة

١. تحدث عن الفتوحات الإسلامية في عهد بنى أمية .
٢. اذكرالخليفة الاموى الذي قام بالحجر الصحى . واعتنى بالمعوقين . وما دلالات ذلك ؟
٣. تناول الاسباب التي أدت إلى زوال دولة بنى امية.

الفصل الثالث

الدولة الإسلامية في عهد بنى العباس

(١٣٢– ٦٥٦هـ)

حكمت الدولة العباسية لفترة تزيد عن خمسة قرون ، وكان زوالها على يد التتار الذين هاجموا عاصمة الخلافة بغداد في ٦٥٦هـ .

الدعوة العباسية :

وقد كانت الدعوة الى العباسيين ، دعوة سرية ، اذ تكونت أول جمعية سريَّة في خراسان من اثني عشر رجلاً، عُرفوا بالنقباء ، وقد بلغ عدد أعضاء الجمعية سبعين داعية . ظلت الدعوة تحافظ على الطابع السري حتى انكشف أمرها بعد وقوع إحدى رسائل ابى مسلم الخراساني ، في يد مروان بن محمد ، آخر خلفاء دولة بنى أمية وعليه تحولت الدعوة العباسية لطور الجهرية والثورة.

تولى ابو سلمة الخلال أمر الدعوة ، واتخذ من الكوفة مركزاً لها ، وذلك لانها بلد شيعية . ثم جاء أبو العباس وكبار ولد العباس الى الكوفة . وفى الكوفة ظل أبو العباس وكبار بني العباس مختفين بالمدينة لعدة أسابيع حتى أُخْرِجُوا من قبل اشياعهم الذين بايعوا أبا العباس في أواخر عام ١٣٢هـ . وفي ذلك اليوم ، رُفع السواد - شعار العباسين - على حصون مدينة دمشق ، إيذاناً بزوال الدولة الأموية . ثم تحركت جيوش العبَّاسيين من خراسان الى العراق ، وبدأت في الاستيلاء على مدنها . وقد تولى عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس قتال

مروان ، آخر خلفاء الدولة الأموية ، ومطاردته حتى فلسطين والأردن . وانتهى الأمر بقتله في قرية من قرى الفيوم (قرية مصرية) .

وهكذا انتهت الدولة الأموية وقامت دولة بني العباس ، التى شهدت نهضة للعلوم والآداب والفنون والعمارة والشعر والموسيقا . وفي ظل هذه الدولة ازدهرت الحضارة الإسلامية . وتعد خلافة بني العباس العصر الذهبى للدولة الإسلامية .

وقفات مع بعض خلفاء الدولة العباسية

الخليفة أبو العباس : (١٣٢ – ١٣٦هـ)

هو أول خلفاء دولة بني العباس ، وهو أبو العباس عبد الله بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم . وكان والده أول من قام بالدعوة السياسية حتى موته في ١٢٥هـ .

تولى أبو العباس الخلافة عام ١٣٢هـ ، وقد عرف بالسفاح ، إمَّا لكثرة أعطياته أو لكثرة سفكه للدماء ، وقد قيل انه كان سخياً كريماً .

اتخذ أبو العباس من مدينة الأنبار عاصمة لدولته ، وتقع الأنبار على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، وتبعد حوالى ثمانية كيلومترات من مدينة بغداد ، وظلت عاصمة للدولة العباسية حتى عام ١٤٥هـ ، حتى أسس ابو جعفر المنصورمدينة بغداد .

تمكن أبو العباس من تثبيت أقدام العباسيين وتوطيد أركان الدولة ، معتمداً في ذلك على الحزم وقوة الشخصية .

حكم أبو العباس حوالي أربع سنوات وتسعة أشهر ، الى أن توفي بالجدري في مدينة الأنبار في عام ١٣٦هـ .

الخليفة أبو جعفر المنصور : (١٣٦هـ - ١٥٨هـ)

وُلد بالحميمة في عام ١٠١هـ ، أواخر خلافة عمر بن عبد العزيز . تولى ولاية الجزيرة ، واذربيجان ، وأرمينية في سنة ١٣٢هـ ، يعد المؤسس الأول للدولـة العباسية . اشتهر بالجـد ، ولم يُعـرف عنه ميل الى اللهـو والعبث ، وعُرِف بالحزم وصواب الرأى وحسن السياسة .

تمكن المنصور من القضاء على فتن أهل البدع ، وحقق الأمن للدولة ، ثم قام ببناء مدينة بغداد عام ١٤٥هـ ، فأصبحت من أبرز انجازاته . ضمت مدينة بغداد العديد من المباني والقصور ، أشهرها قصر القبة الخضراء ، وقصر الخلد ، وقصر الذهب .

ومن المدن التى بناها المنصور ، الرصافة التى عمرت واتسعت حتى شابهت بغداد في العمارة .

وقد شهدت بغداد في عهد المنصور نهضة علمية ، اذ نشطت حركة الترجمة والنقل من علوم الفرس واليونان ، الى اللغة العربية .

توفي المنصور فى سنة ١٥٨هـ ، على مقربة من مكة ، بعد أن وطَّدَ نفوذ دولة بني العباس ، وقام بالعديد من الاصلاحات .

ثم خلفه ابنه المهدى في الفترة من (١٥٨هـ - ١٦٩هـ) لمدة بلغت عشر سنوات – وقد شهدت الدولة في عهده استقراراً ، مما أدى الى اهتمامه بالعمارة، فبنى مسجد الرصافة ، ووسع المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، وكسا الكعبة . كما اهتم بطريق الحج ووضع عليه العلامات الارشادية ، واعتنى بالفقراء

والمحتاجين. وظهر في عهده الزنادقة ، أو الملاحدة الذين ينادون بالإباحة المطلقة، وقد أوقع بهم المهدى ونكَّل بهم .

ارسل المهدى ابنيه الهادى وهارون الرشيد فى حملات متصلة ضد بلاد الروم . وتمكن ابنه هارون الرشيد من التقدم إلى سواحل البسفور . وفرض الجزية على الملكة ايربين ، أرملة الملك ليو الرابع ، والتى كانت وصية على ابنها قسطنطين السابع .

توفى المهدى فى عام ١٦٩هـ ، فخلفه على العرش ابنه الهادى . وقد امتدت فترته لعام واحد اتسمت فيها الخلافة بالضعف وبدأ تدخل النساء في شئون الدولة، وبدأ الفساد في الجيش .

الخليفة هارون الرشيد (١٧٠هـ - ١٩٣هـ):

ولد في أواخر ذى الحجة من عام ١٤٥هـ . تولى الخلافة بعد وفاة الهادى ، من أشهر خلفاء بني العباس بعد أبي جعفر المنصور ، اتسعت في عهده مدينة بغداد وأصبحت مركزاً للعلم والآداب ، والتجارة . وعُرفَ بالتقوى والورع والجود والكرم .

العلاقات الخارجية للدولة في عهد الرشيد :

توطدت علاقات الدولة خارجياً مع دولة بني أمية في الأندلس وبشارلمان ملك الفرنجة ، أما العلاقات مع بيزنطة ، فقد اتصفت بالعداء ، إذ أن الرشيد اضطر في عام ١٨١هـ ، إلى محاربة البيزنطيين ، وتابع الفتوحات حتى وصل القسطنطينية ، وتم عقد هدنة بينه وبين أيربين ، أمبراطورة الدولة البيزنطية ، مقابل دفع الجزية . واستمر الحال هكذا حتى تم نقض العهد من قبل ملك الروم،

فوقعت الحرب بينه وبين الرشيد ، واتسع نطاقها حتى شملت آسيا الصغرى ، والبحر المتوسط ، وتمكن العباسيون من الوصول إلى جزيرة قبرص .

أمَّا العلاقات مع دولة الفرنجة ، فقد اتسمت بطابع الود ، ووصلت الى تبادل السفارة والهدايا . ونشير هنا الى الفيل الذي أرسله الرشيد الى شارلمان ، والساعة الدقاقة التى ظن الفرنجة انها آلة سحرية . وهذه الهدايا توضح بجلاء رسوخ أواصرالعلاقات بين الدولتين (رعاية لمصالحهما) .

وعلى الرغم من الاستقرار الذى شهدته الدولة في هذا العهد ، إلا أنَّ العزلة الاستقلالية لبعض الولايات ، قد بدأت في الظهور . فقد استقلت أفريقيا (تونس وأجزاء من طرابلس) ، بزعامة ابراهيم بن الأغلب الذى أعلن دولة الأغالبة . إضافةً لذلك فقد أطلت الفتن في خراسان واستفحل أمرها .

وهذه الفتن والاضطرابات تؤكد عدم خضوع البلاد بصورة تامة للخليفة . وفي عام ١٨٦هـ ، أعلن الرشيد عقد الولاية لأبنائه الثلاثة ، محمد الامين ثم عبد الله المامون والقاسم الملقب بالمؤتمن . وكان ذلك في موسم الحج .

مما تقدم يتضح أن عهد الرشيد كان من أحسن عهود الدولة العباسية ، وأوسعها رقعة حتى كانت للدولة خيرات الدنيا ، وكان الرشيد من أفاضل الخلفاء وعلمائهم محباً للآداب والفنون ، يحج عاماً ، ويغزو عاماً طوال فترة خلافته إلا سنتين ، صفوة القول وكما يقول السيوطي (إن أيام الرشيد كلها ايام خير ، كأنها في حسنها أعراس) . وكانت وفاته ببلدة طورس في جمادي الآخر في سنة ١٩٣هـ ، ودفن بها ، بعد ولاية دامت ٢٣ سنة وستة أشهر .

الخليفة المأمون (١٩٨ – ٢١٨هـ) :

تولى الخلافة بعد أخيه الأمين ، وتمت له البيعة بمدينة الرى وظل بخراسان حتى قدم إلى العاصمة بغداد في عام ٢٠٤هـ . ويعد عهده من أزهى العصور في دولة بنى العباس ، حيث شجّع النهضة العلمية ، وحرية الفكر ، ودفع بحركة الترجمة .

ومبلغ القول فإن عهد المامون كان عهد اشتغال بعلوم الدين والحديث ، فبرز في عهده جماعة من كبار العلماء أمثال الجاحظ وأبن الهزيل ونهضت البلاد نهضة علمية ، فكان الاهتمام بحركة الترجمة وأنشئت دار عرفت ببيت الحكمة . وفى عام ٢١٨هـ توفى المأمون في شمال مدينة طوس في أثناء غزواته حينما كان متوجهاً لفتح القسطنطينية ، بعد خلافة دامت حوالى العشرين عاماً ، وعهد بالخلافة من بعده لأخيه المعتصم .

الخليفة المعتصم (٢١٨ – ٢٢٧هـ) :

ولد محمد المعتصم في عام ١٧٨هـ وكانت له ولاية بلاد الشام ومصر في خلافة المامون ، وبويع المعتصم في يوم وفاة المامون ، فى التاسع عشر من رجب سنة ٢١٨هـ . وحينما رفض الجند مبايعته ، حسم العباس بن المامون الأمر بأن بايع لعمه المعتصم فتبعه الآخرون .

عرف المعتصم بالرأى السديد كما اتصف بالشجاعة .

أحوال الدولة في خلافته :

ومن أهم الأحداث فى عهد المعتصم ، فتح عمورية ، بعد الاستيلاء على انقرة . وكان فتح عمّورّية قد تم في عام ٢٢٣هـ ، بعد منازلة مهمة مع الدولة البيزيطية ، وهى الموقعة التى امتدحها الشاعر ابو تمام في القصيدة التى مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حدة الحد بين الجد واللعب

ومن أميز الانجازات في عهد المعتصم القضاء على فتنة بابك الخُرَّمِى بحران . وكان بابك قد ظهر أمره منذ عهد المأمون ، وتمكن المعتصم من القضاء عليه ، وانتهي الأمر بقتله ، كما قتل الافشين قائد المعتصم - الذى كان يظهر الاسلام ويبطن المجوسية - بعد أن كُشِفَ أمُرهُ .

سامراء :

ومما اشتهر به المعتصم أنه ابتنى مدينة سامراء شرقي نهر دجلة ، على بعد حوالي ستين ميلاً من بغداد ، من ناحية الشمال ، في مكان طيب الهواء ، وقد اقيمت بها القصور الضخمة والمبانى الشاهقة ، وأصبحت مدينة عامرة زاهرة ، حتى عُرفَت باسم (سُرَّ من رأى) وكان بناؤها في عام ٢٢١هـ ، وظلت قائمة حتى عام ٢٨٩هـ حيث حَل بها الخراب والدمار .

توفى المعتصم فى ربيع الأول عام ٢٢٧هـ بعد أن حكم البلاد حكماً اتَّصَفَ بالعطف ، وحسن التدبير ، وحفل بجلائل الأعمال . وكانت مدة خلافته ٨ سنوات و٦ أشهر .

السمات العامة للدولة العباسية

عند قيام دولة بني العباس ، وضع أبو جعفر المنصور أساس النظام السياسي الذي سارت عليه الدولة . وقد اعتمد نظام الحكم على الوراثة ، فسار العباسيون على نظام تولية العهد لأكثر من واحد ، وأحاط خلفاء بنى العباس أنفسهم بهالة الملك .

كما تطور نظام الدولة وكثرت أعمال الوزارة ، وتطورت الكتابة وبرز من عُرفُوا بالكُتَّاب . كما ظهرت وظيفة الحاجب وهو منصب أشبه بمنصب رئيس الوزراء في عصرنا هذا .

أمَّا النظام الادارى فقد كان نظاماً مركزياً . ويُعَدُّ النظام الادارى في دولة بني العباس ، من أحسن النظم الحديثة ، إذْ عرفت الدولة الدواوين ، وأبرزها ديوان الخراج ، وديوان الزمام ، وديوان البريد ؛ وهي أشبه بالوزارات في العصر الحديث .

وفي المجال العسكرى عرفت الدولة الجند النظاميين ، الذين أجرت عليهم الدولة الأرزاق . وكانت السياسة المالية للدولة تقوم على تحقيق التوازن بين الموارد والمنصرفات .

أمَّا نظام القضاء فقد أَحْكِمَ ، وظهرت المذاهب الأربعة خلال هذه الحقبة، وعرفت الدولة منصب قاضي القضاة . وكانت الدولة تعني بالنظر في المظالم ، كما أهتمت بأمر الحسبة بواسطة المحتسب الذى ينظر فيما يتعلق بالنظام العام .

الحالة الاقتصادية والثقافية والفنون :

عاشت دولة بني العباس فترة من الرخاء والازدهار ، حيث فاضت خزائن الدولة بالأموال ، خاصة في عهد هارون الرشيد . وعمل الخلفاء على تنمية موارد الدولة الاقتصادية ، فَعُنُوا بالزراعة ، والتجارة ، والصناعة واشتهرت البصرة بصناعة الصابون ، والزجاج وأنشئت مصانع الورق ، كما اشتهرت بعض حواضر الدولة بصناعة المنسوجات ، واستخرجت المعادن .

وخلاصة القول فقد ازدهرت التجارة ، وعمرت الأسواق ، وكثرت الرحلات التجارية ، خاصة بين أهالي بخارى وبلاد الصين .

كما شهدت الدولة نهضة علمية في شتي ضروب المعرفه ، فظهرت الكثير من العلوم ، مثل علوم القرآن ، والتفسير ، والحديث ، وهي العلوم المعروفة عندهم بالعلوم النقلية . أما فى مجال العلوم العقلية ، فقد ازدهرت الفلسفة، والهندسة ، وعلم النجوم ، والموسيقا ، والطب ، والرياضيات .

وقد تطور فن العمارة بما يناسب حالة الاقتصاد شكل (٦) ، وظهر أثر الفن الفارسي في بناء القصور ، وزخرفة المنسوجات . ومن أشهر حواضر الدولة مدينة بغداد ، ومدينة الرصافة ، وسَامرَّاء .

وقد كان بنو العباس مختلطين بالفرس ، لذا فقد أخذوا عنهم الكثير وقلّدوهم في نظم الحكم ، والأزياء ، وصنوف الطعام ، والأعياد الرسمية ومواكب الخلفاء، وحفلات الزواج .

الشكل (٦) : يوضح الابداعات المعمارية في عهد الدولة العباسية

الأسئلة

١- ما هي الاسباب التي أدت إلى قيام الدولة العباسية ؟

٢- تحدث عن ازدهار الدولة العباسية في عهد الخليفة الرشيد .

٣- اكتب باختصار في :

النظام الادارى في دولة بنى العباس .

النهضة في مجال العلوم النقلية .

ج- النظام القضائى في الدولة العباسية .

الباب الثالث

نماذج من تاريخ أفريقيا وحضاراتها

الفصل الأول

مدخل لتاريخ أفريقيا قبل الإسلام

أصل كلمة أفريقيا

أطلق الكتاب اللاتينيون في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد اسم الأرض الأفريقية (Africa Terra) على الاسم الذي خضع للنفوذ الفينيقي من تونس الشمالية ، وهو الجزء الذي كانت نقطته قبائل باسم (أفري).

أهمية القارة :

(١) تتميز القارة بموقع جغرافي مكنها من التحكم في بعض طرق المواصلات البحرية العالمية التي تربط الصين والهند واستراليا ونيوزيلندا بدول أوربا الغربية والأمريكتين .

(٢) تنوع مواردها الاقتصادية من معادن وحاصلات زراعية ، وغذائية ونقدية ، وحيوانية ، بالإضافة للقيمة الاقتصادية لمنتجاتها الغابية .

(٣) حباها الله بالعديد من الأنهار ذات المياه النقية العذبة مثل نهر النيل، النيجر ، والكنغو، بينما تعاني أوربا من تلوث مياه أنهارها . وفي العصر الحاضر أصبح عدم توافر المياه النقية العذبة يشكل هاجساً لكثير

من الدول حتى ظهر مصطلح (حرب المياه) ، وذلك لأن المياه نعمة ومهمة عظمى من الله لعباده ومخلوقاته ، وهي أصل الحياة ، قال تعالى:

(وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (سورة الأنبياء الآية ٣٠)

حضارات أفريقيا قبل الإسلام :

تعد الأحوال المناخية من العوامل المؤثرة في تشكيل الثقافة الأفريقية ، ومن الملاحظ أن الأقاليم المناخية في القارة متنوعة (استوائية – سافنا – صحراء – مناخ البحر المتوسط) ، كما أن البيئة الطبيعية قاسية في كثير من أجزاء القارة، لهذا كثرة تنقلات القبائل وقلت كثافة السكان في معظم المناطق .

ومن حيث توزيع العناصر السكانية في القارة نجد المجموعات الزنجية من المناطق الاستوائية ، نجد مناطق للرعي والزراعة معاً تعيش فيها مجموعات رعوية مثل : البقارة – الماساي – الفولاني . وفي مناطق مناخ البحر المتوسط في شمال أفريقيا ومنطقة الكاب في جنوب أفريقيا، نجد تمازجاً سكانياً بين الأفارقة والرومان والفينيقيين والعرب والأجناس الأوربية، مع السكان الأصليين في جنوب أفريقيا .

وفي وسط أفريقيا بصفة عامة ، نجد العنصر الزنجي الحامي ممثلاً في قبائل الشلك والدينكا بالسودان ، والماساي والناندي في كينيا وتنزانيا .

وفي شمال أفريقيا توجد قبائل البربر والطوارق ، كما يوجد النوبيون والبجة بمصر والسودان .

وعلى الرغم من ظروف القارة فقد وجدت فيها صناعات بدائية مثل نحت الحجارة، كما عرف الأفارقة استعمال المعادن مثل الحديد والفضة والنحاس.

واعتمدت شعوب أفريقيا منذ القدم على جني ثمار الأشجار وصيد الأسماك والحيوانات . وقد عرف السكان الأصليون للقارة، الزراعة وتربية الماشية منذ أقدم العصور، وتطورت التجارة في عصور التمازج بين الحضارات .

وفي مجال الفنون ، حلف أولئك السكان نقوشاً وصوراً عن الصيد والرعي، وعن المواقع الحربية والاحتفالات الدينية . وقد شهدت تلك الأعمال الفنية ، لصانعيها بمهارة فنية وقوة في التعبير .

وكانت بعض أقطار أفريقيا رائدة في مجال التقدم الحضاري . ومن حضارات أفريقيا القديمة تلك الحضارات التي نشأت في وادي النيل في السودان ومصر .

١| حضارة وادي النيل :

قبل حلول الألف الرابع قبل الميلاد، وبعد التحول الكبير في مناخ العالم وانحسار المياه في تلك المناطق دون غيرها من البسيطة ، كان من الطبيعي أن يشهد وادي النيل في مصر والسودان ، استيطاناً بشرياً كبيراً. وبفضل ذلك أصبحت مصر والسودان أسبق بلدان العالم القديم عمراناً وأكثرها تقدماً .

٢|حضارة شمال وادي النيل :

تشكلت في شمال وادي النيل أصول كثير من حضارات العالم ، ومن ثم انتشرت بين شعوب آسيا الغربية ، واليونان ، والرومان ، وفي أجزاء أخرى من

أفريقيا . ومع أن قدماء المصريين قد أبدعوا وكان لهم قصب السبق في ميادين عديدة ، فإننا نقتصر تناولنا على ثلاثة أوجه من تلك الحضارة .

(أ) الحكم (ب) الكتابة (ج) البناء والنحت والفنون

(أ) نظام الحكم :

قامت في مصر حكومة مركزية قومية، تحكم مساحة واسعة. وكان نظام الحكم فيها قد تدرج من النظام الإقليمي، الذي كان أساسه الولايات المتعددة المستقلة، إلى نظام حكومي مركزي يتربع على رأسه الملك . إي الفرعون .

وكان الفرعون – وهو الحاكم المطلق وصاحب السلطة العليا في البلاد طاغية جباراً. وكان يعتبر نفسه إلها، كما اعتبره المصريون القدماء كذلك . قال تعالى" **أذهب إلى فرعون إنه طغى** " سورة النازعات، الآية (١٧).

وقال تعالى " **فقال أنا ربكم الأعلى** " سورة النازعات ، الآية (٢٤) .

وكان الفراعنة يشرفون بأنفسهم على كثير من أمور الدولة . ولما كان من المستحيل على رجل واحد تسيير كل أمور الدولة ، فقد اتخذ الفراعنة مستشارين ووزراء وكتبة وقادة وخزنة ، يستعينون بهم في تدبير شؤون البلاد، ومن أهم تلك المناصب، منصب خازن الدولة الذي يتولى الإشراف على خزائن الحبوب في مصر . وهو المنصب الذي تولاه سيدنا يوسف عليه السلام .

وبفضل النظام والقوة التي نمت في مصر الموحدة، تطلَّع الفراعنة لتوسيع سلطانهم، وتمكنوا في عهد الدولة المصرية الحديثة (١٥٨٠ ق.م – ١٠٨٠ ق.م). من بناء إمبراطورية واسعة، شملت معظم بلدان الشرق ، كما امتدت في السودان جنوباً حتى الشلال الرابع .

(ب)الكتابة:

من أعظم أفضال المصريين على العالم ابتكارهم الكتابة. وتطورت كتابة المصريين من التعبير بالصور لرموز تدل على المعاني، تعرف برموز المعاني، ثم إلى اختراع علامات ذات أصوات متعددة، او مفردة تسمى رموز الأصوات ، والرموز ذات الأصوات المفردة هي الحروف الأبجدية . واحتوت أبجدية المصريين على أربعة وعشرين حرفاً، ولكن المصريين لم يكتبوا بالحروف الأبجدية ويستغنوا عن الرموز الأخرى ، وإنما ظلوا يكتبون جميعاً ، وفضَّلوا استعمال العلامات والصور، وعرفت تلك الكتابة بـ "الهيروغلفية " أنظر الشكل رقم (٧) .

وكان المصريون ينقشون أو يرسمون على الحجارة والمعادن والخشب والفخار وورق البردي والقماش . ويحمد لهم أنهم توصلوا إلى اختراع ورق من سيقان نبات البردي الذي كان ينمو في مستنقعات النيل . وكانوا يكتبون بحبر (عَمَار) أسود أو أحمر، مستخدمين أقلاماً من البوص المبري .

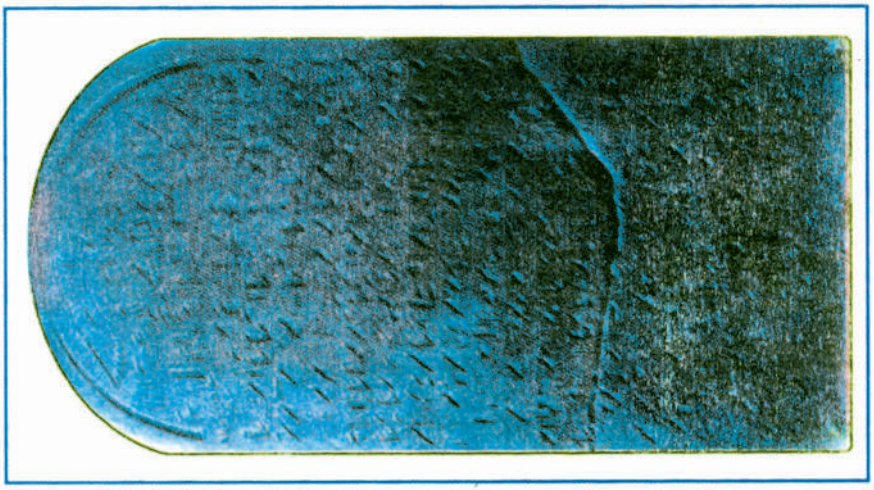

الشكل (٧) : يوضح الكتابة المصرية

(ج) البناء والنحت والفنون:

تشهد الآثار الفرعونية أن المصريين القدماء كانوا متقدمين إلى حد كبير في الهندسة والنحت والرسم والتلوين .

فأهـرام الجيزة التي بناها فراعنة المملكة المصرية القديمة في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ، ومعابد الكرنك والأقصر التي شادها فراعنة الإمبراطورية في الألف الثاني قبل الميلاد ، لا تزال مثاراً للدهشة والإعجاب . إن هـرم خوفـو بالجيزة يعد من أعظم ما بنته الأيدي البشرية في الماضي ، تبلغ مساحة قاعدته ثلاثة عشر فداناً وارتفاعه خمسمائة قدماً، واستعمل في بنائه أكثر من مليوني حجر يزن الواحد منها أكثر من طنين، أما معابد الكرنك والأقصر ، فهي أكبر وأجمل دور للعبادة في العالم القديم .

وأتقن المصريون القدماء فن قطع الحجارة ، وتجلت تلك القدرة في قطع حجارة الأهرامات، وفي نحت التماثيل البديعة من المعدن والخشب . وتفوق المصريون في الرسم والتلوين، وتميزت صورهم المرسومة والمنحوته بصدق التعبير ومحاكاة الأصل. واشتهروا بصناعة الحلي الذهبية، والمنسوجات الدقيقة من الكتان.

الأسئلة

(١)ما أصل كلمة أفريقيا ؟

(٢)تميزت قارة أفريقيا بمزايا جعلت لها أهمية كبيرة – وضح ذلك .

(٣)أذكر خمسة من العناصر السكانية في أفريقيا مع تحديد مواقعها .

(٤)ما أثر تباين الأقاليم المناخية في القارة على حياة السكان الاقتصادية ؟

(٥)اكتب بإيجاز عن نظام الحكم في مصر الفرعونية .

الفصل الثاني

السودان القديم والوسيط

مقدمة :

عرف العالم الخارجي السودان القديم بأسماء اختلفت من زمان لآخر أشهرها (كوش) و(أثيوبيا) و (النوبة) كما أشير لأجزاء منه بأسماء مثل: (واوات) و (يام) و (تاسيتي) و (تانحو). وقامت في السودان القديم حضارات عظيمة مثل حضارة (كرمة) و (نبتا) و (مروي) .

وفي الجزء الأوسط من وادي النيل – في السودان – بدأ الإنسان يتلمس طريقه نحو المدنية والتحضر منذ زمن سحيق . وظل هذا الإنسان – بجانب ابتكاراته الخاصة – يتفاعل مع الحضارات الوافدة من مصر وبلدان حوض البحر المتوسط . وبقيت في سهول السودان ووديانه آثار تدل على نشاط إنسان السودان الحضاري في مختلف العصور . وشمل ذلك آثاراً من عصور ما قبل الميلاد .

وتبرز آثار حضارة مملكة مروي (٧٥٠ ق.م – ٣٥٠م) كأهم الآثار المتبقية من تلك الأزمنة . ونكتفي بالوقوف على إنجازات المرويين الحضارية في مجالات ثلاث، هي الكتابة والتعدين والفنون والعمارة .

وقبل ذلك نلاحظ ان المؤرخين درجوا على تقسيم الحضارة التي انتظمت السودان القديم ولأكثر من ألف عام (٧٥٠ ق.م – ٣٥٠ م) إلى فترتين . الفترة

الأولى (٧٥٠ ق.م – ٣٠٠م) وأطلقوا عليها اسم الفترة النبتية ، ونسبة لمدينة نبته. أما الفترة الثانية بالنسبة لهم فهي الفترة " المروية"ة نسبة لمدينة مروي القديمة (البجراوية) وتمتد بين عام ٣٠٠ ق.م وعام ٣٥٠ م . واعتقد أولئك المؤرخون أن السودان خضع أولاً لمملكة نبته وعاصمتها نبته في منطقة كريمة الحالية ثم انتقل الملك وانتقلت معه العاصمة جنوباً إلى مدينة مروي في منطقة البجراوية إلى الشمال قليلاً من مدينة شندي .

وظل هذا المفهوم سائداً ومقبولاً حتى وقت قريب ، ولكنه لم يعد كذلك نتيجة للدراسات المتصلة والكشوف الأثرية المتلاحقة . وقد تأكد أن مروي كانت العاصمة قبل عام ٣٠٠ق.م ويرجّح إنها كانت العاصمة السياسية لما ظل يعرف بفترتي نبته ومروي ، وأنَّ نبته لم تكن سوى عاصمة دينية ومنطقة مقدسة بالنسبة للمرويين، شيدوا فيها المعابد والأهرامات التي دفنوا فيها الملوك الأوائل.

الكتابة المروية : أنظر الشكل (٨) :

في البداية ورث المرويون اللغة المصرية بكتابتها من مصر الفرعونية وكتبوا بها ، ولكنهم وفي القرن الثاني قبل الميلاد ابتكروا كتابة خاصة بهم كتبوا بها لغتهم المحلية .

والكتابة " المروية" هجائية تتكون من ثلاثة وعشرين حرفاً، واستعمل المرويون نوعين من الحروف الأبجدية . النوع الأول حروفه عن صور،

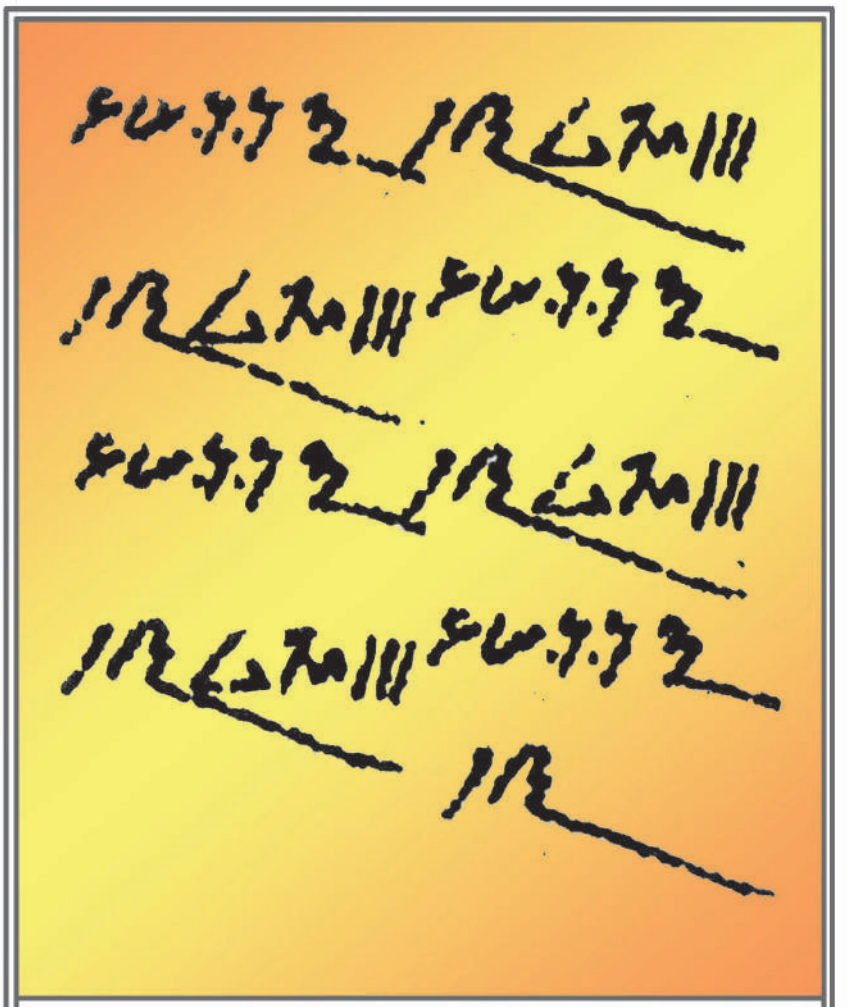

شكل (٨) : نموذج من الكتابة المروية

ولم يكتبوا بها كثيراً . أما النوع الثاني، وهو الغالب في كتاباتهم ، فحروفه علامات سهلة التعلم وتكتب من اليمين إلى اليسار مثلما تكتب العربية .

التعدين :

يلاحظ الزائر لآثار مدينة مروي القديمة (البجراوية) أن تلالاً من نفايات الحديد ما زالت قائمة في الجزء الشرقي من المدينة ، وكان المرويون يستخرجون الحديد من الصخور وذلك بعد صهرها في أفران بدائية وقد كشف مؤخراً عن تلك الأفران وعن منطقة صناعية كبيرة كانت قائمة في أطراف العاصمة مروي. وكانت البجراوية من أكبر مراكز تعدين الحديد في العالم ومنها انتقلت صناعة الحديد إلى مناطق أخرى من أفريقيا.

الفنون والعمارة :

برع المرويون في قطع الحجارة والاستفادة منها في البناء ونحت التماثيل. وبنو من الحجر الأهرامات والمعابد الضخمة وزينوا جدرانها بالنقوش والكتابات الجميلة المعبرة، بجانب ذلك يلاحظ أن معظم مباني عاصمتهم مروي قد شيدت من حجارة جيدة القطع. ونحتوا لملوكهم وآلهتهم العديد من التماثيل التي تدل على المهارة والحس الفني الراقي . ومن أجمل التماثيل التي بقيت تمثال الملك تهارقو المنصوب حالياً في صالة المتحف القومي بالخرطوم أنظر الشكل (٩) .

وامتاز المرويون في مجال الفنون والصناعات الأخرى ، وعرفوا صناعة نسيج الملبوسات القطنية وأجادوا صناعة الفخار وزخرفته كما بقيت من بين آثارهم العديد من الحلى الذهبية الدقيقة المصنع .

شكل (٩) تمثال الملك تهراقا

الممالك النوبية المسيحية

في الحقبة الوسيطة من تاريخ السودان (٥٥٠-١٨٢١م) ، ازدهرت الممالك النوبية المسيحية – نوباطيا والمقرة وعلوة ، والسلطنات والممالك الإسلامية ، وهي سلطنات الفونج والفور ومملكة تقلي ومشيخة العبدلاب والمسبعات .

وظل السودانيون، خاصة في الجزء الشمالي من البلاد، على صلة بما يجري في العالم حولهم ويستقبلون ألواناً من الثقافات الوافدة ، يتأثرون بها ويؤثرون فيها .

ولمّا ظهرت المسيحية ومن بعدها الإسلام، كان من الطبيعي أن تمتد هذه الأديان من مصر إلى السودان . وحينما اعتنق الملوك والسلاطين هذه العقائد الدينية ، تصدوا لحمايتها ورعايتها ونشرها . كما سنرى .

نشأة ممالك النوبة :

ظلت أجزاء بلاد السودان الممتدة بين جنوب أسوان وملتقى النيلين في الخرطوم، موحدة وخاضعة لملوك نبته ومروي لفترة امتدت زهاء الف عام . وبعد زوال مملكة مروي في عام ٣٥٠م . انقسمت البلاد إلى وحدات سياسية صغيرة ليست ذات شان . وبعد قرنين من تلك الحالة سادت في المنطقة ثلاث ممالك مستقلة ، عرفت باسم ممالك النوبة .

والممالك التي تحدث عنها المبشرون المسيحيون الأوائل في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ثلاث هي :

(١) مملكة نوباطيا : وتمتد حدودها بين أسوان وعكاشة وعاصمتها فرس .

(٢) مملكة المقرة : وتمتد من عكاشة إلى كبوشية وعاصمتها دنقلا العجوز .

(٣) مملكة علوة : وتمتد من كبوشية إلى جنوبي ملتقى النيلين – الأبيض والأزرق – وعاصمتها سوبا .

وبعد قدوم المسلمين إلى مصر واصطدامهم بالنوبيين اندمجت المملكة الشمالية نوباطيا في مملكة المقرة ؛ وأصبحت في النوبة بعد عام ٦٥٢م ، مملكتان هما المقرة وعلوة .

دخول المسيحية في ممالك النوبة :

دخلت المسيحية أولاً في مصر ، وتزايد عدد المسيحيين فيها في القرن الثاني الميلادي ؛ وكانت مصر من ضمن رعايا الإمبراطورية الرومانية. وعندما أحس الأباطرة الرومان الوثنيون، بخطر هذا الدين الجديد الذي بات يهدد سلطانهم ووحدة إمبراطوريتهم، بدأوا في اضطهاد المسيحيين في مصر مما اضطر أعداداً كبيرة منهم إلى الهجرة جنوباً نحو أسوان وبلاد النوبة وواحة الخارجة في الصحراء الغربية . وأصبح هؤلاء المضطهدون الفارون بدينهم ، أول المبشرين بالمسيحية في بلاد النوبة ، وإنّ ظل تأثيرهم ضعيفاً ومحصوراً بين أفراد من عامة الناس .

وفي القرن السادس الميلادي ازدادت حدة التنافس بين الفرق المسيحية . وكانت الوحدة المسيحية في الإمبراطورية الرومانية (البيزنطية) قد انقسمت نتيجة مناقشات ومنازعات دارت في عام (٤٥١م) حول بعض الأمور اللاهوتية

(الدينية) ، وأيّدّ الإمبراطور رأي إحدى الجماعات ، فعّرفت الفرقة التي أيدها بالطائفة الملكانية . وكان أغلب اتباعها من اليونان وما جاورها من البلاد . أما الحزب الآخر المعارض فعرف باسم الطائفة اليعقوبية نسبة للأسقف يعقوب ، أسقف إنطاكية ، وأغلب اتباعها من أقباط مصر ويعرفون أيضاً بالأقباط الأرثوذكس .

ومن مظاهر هذا الانقسام في القرن السادس الميلادي، أن إمبراطور بيزنطة جستنيان، (٥١٧- ٥٦٥) كان على المذهب الملكاني ، بينما كانت زوجته ثيودورا ، ذات الأصول المصرية، على المذهب القبطي الأرثوذكسي وكان لهذا الاختلاف انعكاساته على التبشير في بلاد النوبة .

بدأت المرحلة الحاسمة من مراحل التبشير المسيحي في بلاد النوبة، حينما أخبرت الإمبراطورة زوجها بأنها تنوي إرسال بعثة لتنصير النوبة بقيادة القس يوليان . ولعلم الإمبراطور أن يوليان يدين بمذهب الكنيسة القبطية المصرية، وهو على خلاف المذهب الذي ينحاز إليه الإمبراطور ، قرر جنستنيان إرسال بعثة إلى النوبة تسبق بعثة زوجته . وحينما علمت الإمبراطورة بنوايا زوجها عمدت ، هي الأخرى للتآمر لتأخير بعثة زوجها ، وبالفعل تمكن مبعوثها ، يوليان من الوصول إلى بلاد النوبة قبل بعثة الإمبراطور .

وتشير المصادر إلى أن مملكتين من ممالك النوبة ، هما نوباطيا وعلوة ، تنصرتا على مذهب الكنيسة البيزنطية . ولكن ما أن حل القرن الثامن الميلادي

حتى أصبحت ممالك النوبة كلها تدين بالمسيحية على مذهب الكنيسة المصرية وأصبحت لبلاد النوبة كنيسة موحدة على رأسها مطران يعينه بطريك الكنيسة المرقصية المصرية. ويتولى هذا المطران تعيين قساوسة البلاد الذين كانوا يرسلون من مصر .

كانت الطقوس الدينية تؤدَّى في البداية باللغة اليونانية ثم أصبحت تؤدّى باللغة النوبية المكتوبة بحروف لاتينية بعد عام ٩٧٥م .

ولكن التعاليم المسيحية لم تؤثر في حياة عامة الناس ، واقتصر أثرها على الطبقة الحاكمة وبعض سكان المدن ، بينما ظل معظم النوبيين ، طيلة العهد المسيحي ، يمارسون عاداتهم الوثنية .

وأخيراً كان لانقطاع وصول القساوسة من مصر وعدم ظهور علماء نوبيين مختصين في اللاهوت أو الفلسفة الدينية، أثره البالغ في فقدان الكنيسة النوبية نفوذها في بلاد النوبة .

النظم والحضارة في ممالك النوبة المسيحية :

ومع أن معلوماتنا عن الحضارة والمجتمع النوبي قليلة وغامضة، في كثير من الأحيان ، لا بد أن تجلى بعض الحقيقة عن مظاهر الحضارة النوبية في تلك الفترة الطويلة من تاريخ السودان والتي امتدت بين القرنين السادس الميلادي والسابع عشر الميلادي .

(أ)الملوك وسلطانهم : الشكل رقم (١٠) :

كان على رأس السلطة في المقرة، حاكم يحمل لقب ملك . وأطلق المسلمون في مصر عليه صفة (عظيم النوبة) وكان ملوك النوبة يتمتعون بسلطان مطلق على رعاياهم ، بل كانت لهم السلطة في استرقاق من يشاءون بجرم وبغير جرم ، وكان الأهالي يطيعون ولا ينكرون ذلك كما كان الملك مالكاً للأرض دون رعاياه .

وأتخذ ملوك المقرة شارات للملك ، منها الجلوس على سرير مصنوع من الأبنوس، وتاج مرصع بالأحجار الكريمة يعلوه صليب من ذهب ثم المظلة التي ترفع على رأس الملك في المواكب . أما ملك علوة فكان يتوج بتاج من ذهب .

(ب)نظام وراثة العرش :

كانت وراثة العرش النوبي تقوم على أساس النظام (الأموي) فإذا مات الملك وكان له ولد وابن أخت فإن الأخير يرث الملك بعد خاله دون ولد الملك . وإن لم يكن له ابن اخت يرث ولده الملك بعده . لقد ورث النوبيون هذا النظام من المروبين ، وسنلاحظ أنه كان سائداً أيضاً في وسط البلاد وشرقها وغربها . وفي هذا يقول ابن حوقل (... ومن سُنَّة جميع السودان، إذا هلك الملك أن يأخذ الملك ابن أخته دون كل قريب وحميم من ولد وأهل).

ولم تخل ولاية العرش النوبي حوادث الاغتيال ، كما أن بعضهم عهد بولاية العرش لأبنائهم مخالفين بذلك التقاليد الموروثة . وعموماً فأن المخالفات عن النظام (الأمومي) كانت محدودة ، ولكن بدءاً من القرن الحادي عشر

الميلادي أصبح المبدأ السائد والمطبق هو توريث ابن الأخت ، أو ابن البنت ، ولكن هذا النظام الوراثي حمل معه الكثير من التنافس والتخاصم والفتن ، وكان العامل المباشر الذي أدى لنهاية وزوال مملكة المقرة المسيحية ، على أيام المماليك في مصر كما سنرى .

(ج) الأقاليم وإدارتها :

قسمت ممالك النوبة إلى أقاليم أو ولايات ، عرفت كل واحدة منها بالمملكة. وعلى رأس كل واحدة من تلك الممالك الصغيرة ملك ينوب عن الملك الكبير .

وكانت مملكة نوباطيا أعظم ممالك المقرة كما كانت " الأبواب " – (كبوشية) – أعظم ممالك علوة . وكان من واجبات أولئك الملوك إقامة الطقوس الدينية أسوة بالملك الكبير .

وبجانب حكام الأقاليم ، كانت هنالك طبقة من صغار الموظفين يحملون في الغالب القاباً بيزنطية ، نقلاً عن مصر التي كانت تخضع لحكم البيزنطيين .

(د) الاقتصاد النوبي :

اعتمد الاقتصاد النوبي في العصر المسيحي على الزراعة والرعي والتجارة . أما في مملكة المقرة فقد قلَّت الزراعة وانعدم الرعي نظراً لضيق الرقعة الزراعية . واقتصرت زراعتهم على النخيل وقليل من الشعير واللوبيا والخضروات .

الشكل (١٠) صورة (مارتا والدة الملك) تحت حماية السيدة مريم العذراء حوالي ١٠٠٠م كنائس فرس العهد المسيحي (٥٤٠ م – ١٥٠٤م)

واختلف الحال في مملكة علوة ، لاتساع خصوبة الأراضي ووفرة مياه الأمطار ، والوديان والأنهار ، فامتدت المراعي وكثرت زراعة النخيل والذرة ، ولكن المزارعين هناك لم يستغلوا ذلك الاستغلال الأمثل لتوفير فائض للتصدير.

أما في مجال التجارة فإن النوبيين كانوا يقومون بدور الوسيط وحماية القوافل ، ولم تُعرف العملة في بلادهم إلا في أقصى سمال مملكة المقرة عند الحدود مع مصر . أما إلى الجنوب من ذلك فقد اعتمدوا على المقايضة عن طريق المواشي والحبوب والرقيق والحبال .

أسئلة

١- اذكر الصناعات التي عرفها المرويون .

٢- كيف دخلت المسيحية بلاد النوبة ؟ وما أثرها على حياة السكان ؟

٣- تحدث عن نظام الحكم في ممالك النوبة المسيحية .

الفصل الثالث

انتشار الإسلام في أفريقيا

الإسلام كما هو معروف دين ودولة، وعنصر أساسي في قيام الحضارة. وقد حوت رسالة الإسلام العقيدة والعبادات والمعاملات . وتشتمل المعاملات، على أمور السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والأخلاق . وقد وردت الكثير من الآيات والأحاديث التي تؤكد ذلك . ففي مجال الحكم ، مثلاً ورد قوله تعالى: " **وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** " سورة الشورى الآية (٣٨) .

وفي مجال الاقتصاد جاء قوله تعالى " .. **واحل الله البيع وحرّم الربا** " سورة البقرة الآية (٢٧٥) . وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي يضيق المجال عن ذكرها .

وقد كانت افريقيا في أمسّ الحاجة للإسلام ، إذ كانت الوثنية هي العقيدة السائدة فيها ، من عبادة للأشجار ، والأنهار ، والكواكب ، والأبطال . وفي المناطق الاستوائية كان العري هو السمة الغالبة على أهلها ، وتسلط القوي هو الأسارب السائد . وبمجيء الإسلام ، بدأ ضوء الحق والمعرفة ، يزيح ظلمات الجهل والكفر ، وأخذ الإسلام يضع قواعد حياة سليمة تليق بالإنسان الذي كرمه الله تعالى:

" **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** " سورة الإسراء الآية (٧٠) .

وقبل الإسلام كانت القبيلة هي المسيطرة في أنحاء القارة ، وكما هو معروف ، فإن العصبية القبلية عدوٌ للوحدة والاستقرار ، وعامل أساسي للفرقة والتمزق . وبمجيء الإسلام وانتشاره في معظم مناطق أفريقيا ، تقاربت المجموعات العرقية في ظل عقيدة التوحيد السامية ، وعمّ الأمن والاستقرار في تلك المناطق .

قال تعالى : " **يأيّها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير** " سورة الحجرات الآية (١٣).

الطرق التي سلكها الإسلام إلى القارة الأفريقية : انظر الشكل (١١).

كانت للعرب صلات تجارية قديمة مع السواحل الشرقية الأفريقية، فوصلوا حتى وادي النيل . وبعد أن تم فتح عمرو بن العاص لمصر عام ١٩ هـ / ٦٤٠ م كثرت الهجرات العربية الإسلامية لمصر ، ومن ثم انتشر الإسلام في مناطق عديدة من القارة عبر طرق أهمها :

(١) **طريق شمال افريقيا :** عبر مصر ، برقة ، طرابلس ، أفريقيا (بلاد تونس)، المغرب الأوسط (الجزائر وجزء من مراكش) ، بلاد السوس الأقصى إلى مصب نهر السنغال – وكان يتبع هذا الطريق ، طريق بحري – بعد نمو البحرية الإسلامية – وكذلك من مصر إلى بلاد النوبة.

(٢) **الطريق الصحراوي :** من واحات مصر الغربية ، ويمر بجنوب بلاد المغرب حتى غربي القارة الأفريقية .

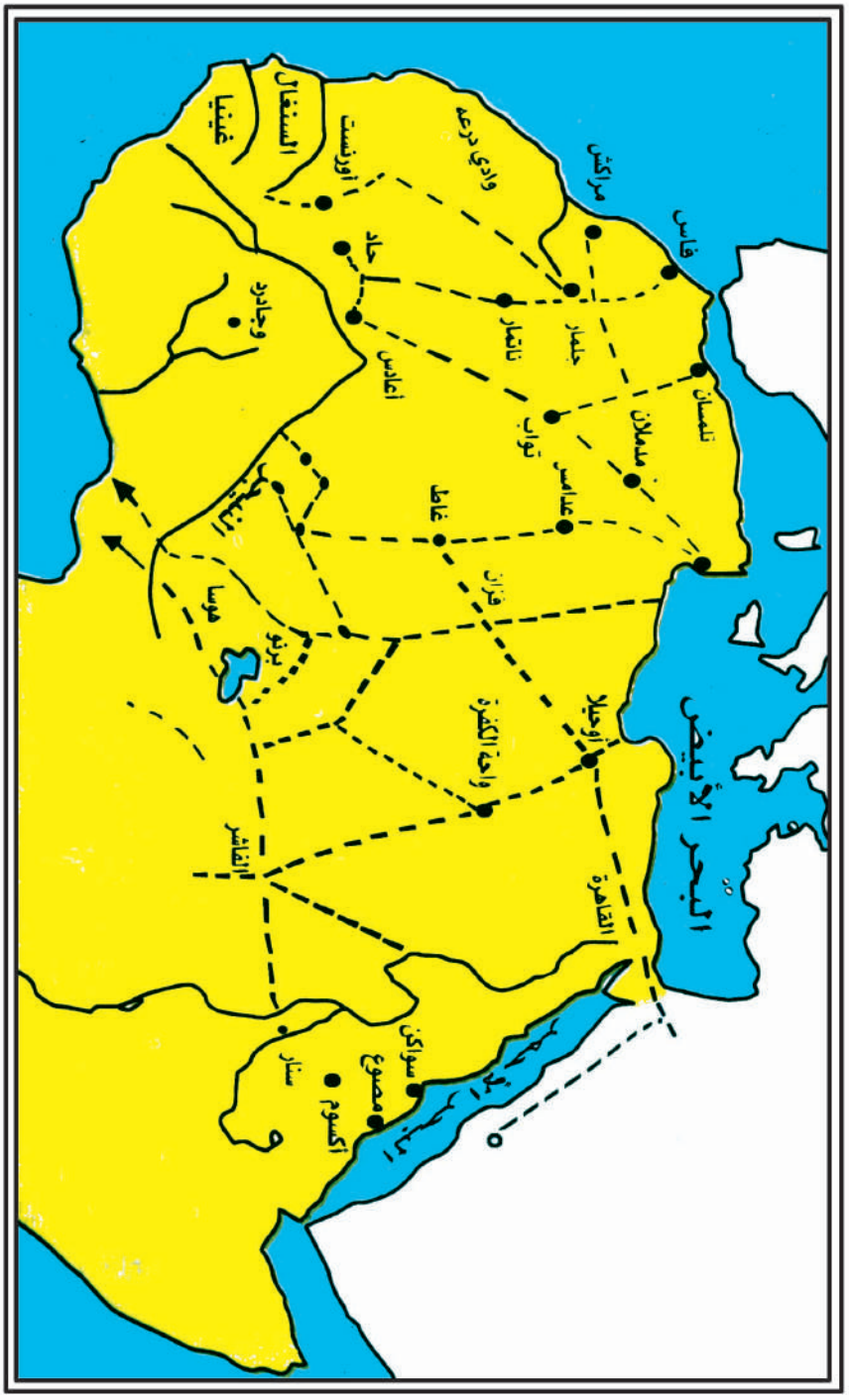
البحر الأبيض
فاس
مراكش
وادي درعه
السنغال
غينيا
أورنست
حاد
وجادود
تلمسان
مدملان
تواب
عداميس
غاط
فزان
واحة الكفرة
القاهرة
سواكن
مصوع
أكسوم
ستار
هوسا
برنو

(٣) **طريق القوافل :** من بلاد المغرب الأقصى ، إلى شمالي بلاد السودان ، ومن جنوبي تونس ، إلى بلاد برنو غرب بحيرة تشاد . ومن جنوبي الجزائر ، إلى بلاد شمال نيجيريا . ومن جنوبي مراكش ، إلى مصب نهر السنغال ، ومنحنى نهر النيجر الأوسط والأعلى .

(٤) **طريق عبر البحر الأحمر :** ماراً بالصحراء الشرقية ووادي النيل ، إلى بلاد النوبة وشمال السودان .

(٥) طريق من جنوب بلاد العرب إلى الساحل الشرقي لأفريقيا .

عوامل انتشار الإسلام في أفريقيا :

انتشر الإسلام في أفريقيا بسهولة ويسر نسبياً ، وهناك العديد من العوامل التي ساعدت على ذلك ، منها :

(أ) بساطة مبادئ الإسلام ووضوحها ، وعدم تعقيدها ، ومما يؤكد هذا أن اعتناق الإسلام لا يتطلب من الشخص في البداية إلا النطق بالشهادتين وفوق ذلك ، فإن الإسلام دين الفطرة السليمة .

(ب) معرفة الأفريقيين الوثنيين لمبدأ التوحيد ، فعلى الرغم من وثنيتهم كانوا يعتقدون في وجود إله أعظم ، خالق للكون .

(ج) الحرية الكاملة في اعتناق الإسلام أو رفضه ، وعدم فرضه عليهم ، وهذه القيمة الحضارية – قيمة الحرية في اعتناق الإسلام – جعلت الأفريقيين يشعرون بالوحدة مع الدعاة المسلمين ، ونظروا للإسلام على أنه دين السود، هذا المفهوم قد ظهر بين الامريكان السود .

(د) احترام الدعاة المسلمين لعادات الأفريقيين وتقاليدهم ، وعدم احتقارها ، الأمر الذي قربهم وحببهم إليهم . وبمرور الزمن جذبتهم قيم الإسلام ، وتركوا العادات الذميمة . ووضح أثر الإسلام عند مختلف القبائل في نواحي الإصلاح والتهذيب والتآلف والوحدة .

(هـ) المصاهرة التي تمت بين الدعاة المسلمين والأفريقيين في شمال أفريقيا ؛ وفي النوبة ، وشرقي أفريقيا ، دفعت زعماء القبائل لدخول الإسلام ، ولم يكتفوا بذلك ، بل وتحمسوا لنشره .

(و) الأخلاق الإسلامية القويمة ، والصفات الحميدة التي تميز بها المسلمون الذين حملوا الدعوة ، ومن تلك الصفات المعاملة الحسنة والأمانة .

وبمرور الزمن انتشر الإسلام وانتظم ثلث القارة . ومما لا شك فيه ، أن الإسلام هو دين المستقبل لأفريقيا ولغيرها من باقي قارات العالم .

ومما سبق ، نرى أن الإسلام لم ينتشر في أفريقيا عن طريق القوة ، وإنما وجد استجابة تلقائية من قبل السكان المحليين ، لانسجامه مع طبيعتهم .

آثار انتشار الإسلام :

ترك الإسلام آثاراً إيجابية في كل المناطق التي انتشر فيها ، ومن آثاره ما يلي :

(أ) انتشار اللغة العربية :

نسبة لارتباط الدعوة الإسلامية باللغة العربية ، لغة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، فقد احترم المسلم الأفريقي اللغة العربية ، احتراماً يقرب من التقديس.

وقد تركت اللغة العربية آثارها في عدد من اللغات المحلية الأفريقية وظهر هذا الأثر واضحاً في لغات الهوسا والسواحيلية وغيرها ، إذ يوجد في تلك اللغات الكثير من الكلمات ذات الأصول العربية .

(ب) التداخل بين المسلمين والقبائل الأفريقية ، والتزاوج الذي تم بينهم .

(ج) الوحدة والانصهار بين شعوب القارة والعرب المسلمين ، بسبب الإسلام .

(د) الرقي ببعض المجموعات الأفريقية وتحولهم من الوثنية والشرك ، إلى عقيدة التوحيد .

(هـ) النهضة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، التي عَمَت شعوب القارة التي اعتنقت الإسلام .

(و) قيام دول وممالك ذات وحدات إدارية ضمت مناطق واسعة وَحّدَ بينها الإسلام بعيداً عن العصبية القبلية .

الأسئلة

١. اذكر المعتقدات الدينية التي كانت سائدة في أفريقيا قبل مجيء الإسلام .
٢. سلك المسلمون عدداً من الطرق إلى أفريقيا – وضح تلك الطرق .
٣. انتشر الإسلام في قارة أفريقيا بسهولة ويسر – علل لذلك .
٤. للإسلام آثار إيجابية في كل المناطق التي انتشر فيها في القارة – وضّح ذلك باختصار .

الفصل الرابع

الإسلام في السودان

المسلمون ومملكة المقرة

تمهيد:

صلة سكان جزيرة العرب بأفريقيا عامة ، وبوادي النيل بصفة خاصة قديمة وارتبطت بالموقع الجغرافي ، إذ لا يعد البحر الأحمر عائقاً للاتصال بين سكان المنطقتين المتجاورتين ، وقد نشطت التجارة بين الشواطئ ، الأفريقية وجزيرة العرب قبل الإسلام واتخذ العرب موانئ لهم على الشواطئ السودانية والمصرية لتبادل السلع . ويرجع أن بعضهم أوغل في الداخل حتى وادي النيل . وتشير المصادر كذلك إلى هجرات عربية خلال الألف سنة السابقة للميلاد ، إلى الحبشة وشرق السودان وعلوة وشمال أفريقيا . ولا شك أن بعض العرب استقروا في وادي النيل وشرق السودان ، واختلطوا بالسكان المحليين عن طريق المصاهرة واندمجوا فيهم ، ولكن لم يبق لهم تأثير كبير وواضح على سكان المنطقة .

وجاء الإسلام وخرجت جيوش الفتح تحقق الانتصارات شرقاً وغرباً وتنشر الإسلام وهدايته . وبعد فتح مصر أخذت القبائل العربية تهاجر إليها .

وقبل الخوض في كيفية دخول العرب والإسلام السودان ، نشير إلى أن ذلك تم عبر ثلاث طرق رئيسة ، على فترات زمنية متباعدة ، والطرق هي:

١- طريق الشمال من مصر عبر النيل والصحراء الشرقية.

٢- الطريق الشرقي عبر البحر الأحمر وأثيوبيا .

٣- الطريق الغربي عبر دول غربي أفريقيا والصحراء الكبرى .

(١) المقرة وفتح مصر :

فتح المسلمون مصر في عام ٦٤٠م ولم تشأ جيوشهم التوغل جنوباً في بلاد النوبة المجاورة . لكن النوبيين وجدوا اهتماماً من المسلمين لأنهم كانوا جزءاً من الجيش البيزنطي الذي أعدّ لصد المسلمين عن مصر .

وبعد أن تم انتصر عمرو بن العاص ، وفتح مصر في عام ٦٤٠م، كتب عمرو عهداً شمل البيزنطيين والنوبيين . وجاء في ذلك الصلح السماح للنوبيين بالعودة لبلادهم ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم وملَّتهم ما التزموا بشرط الصلح.

وبعد فتح مصر بمدة وجيزة ، وصلت جيوش المسلمين إلى الحدود المصرية الجنوبية ونتج عن ذلك اشتباكات بين المسلمين ، والنوبيين ، (ربما لتجاوز أحد الفريقين لحدود الآخر) . ولما كثرت غارات النوبيين على حدود الريف المصري حول أسوان ؛ صمم عمرو بن العاص على تأديبهم ، فظل يغزو بلادهم حتى نهاية ولايته على مصر في عام ٦٤٦م .

وقد تكبد المسلمون في هذه الغزوات خسائر كبيرة ، لأن حملات عمرو لم تكن معدة إعداداً جيداً كما أنّ النوبيين كانوا يجيدون الرمي بالسهام حتى أطلق عليهم المسلمون " رماة الحدق " .

(٢) صلح البقط :

بعد عزل عمرو بن العاص من ولاية مصر وتولى عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه خلفاً له غزا النوبيون صعيد مصر وخرّبوه . فاستعد لهم ابن أبي السرح ووجه لبلادهم حملة كبيرة في عام ٣١هـ تمكنت من الوصول إلى عاصمتهم دنقلا . ومحاصرتها حصاراً شديداً وعندما رماها المسلمون بالمانجنيق، خرج إليهم ملك النوبة ، " قليدور " مستسلماً .

وتوصل الجانبان إلى اتفاق عرف باسم " البقط " .

وكلمة (بقط) ليست عربية في الأصل . والراجح أن لها أحد أصلين: الأول يوناني ، وفيه تعني الكلمة " الاتفاق " ، والأصل الثاني مصري قديم وفيه تعني الكلمة " الضريبة التي تدفع عيناً " .

وجدير بالملاحظة إن كلمة "بقط" كانت شائعة الاستعمال في مصر قبل صلح النوبة مع المسلمين ، إذ كان البيزنطيون يأخذون من المصريين ضريبة غلال لتزويد جيوشهم ، وعرفت تلك الضريبة باسم (البقط) .

وأهم شروطك صلح (البقط) الذي عُقِدَ بين المسلمين والنوبة ، تتلخص في الآتي :

(أ) التزام الطرفين بحسن الجوار وأن يدخل النوبيون بلاد المسلمين مجتازين غير مقيمين ، كما يجوز ذات الشرط على المسلمين .

(ب) أن يدفع النوبيون للمسلمين بعض رقيقهم ويعطيهم المسلمون مقابل ذلك طعاماً .

(ج) الحفاظ على المسجد الذي ابتناه المسلمون في دنقلا .

ظلت هذه الاتفاقية ، مع بعض التعديلات ، تمثل نوعاً من الاتصال الدائم بين النوبيين والمسلمين في مصر ، مدة ستة قرون تخللتها بعض الحملات العسكرية . وكما نجد أن بعض الجماعات الإسلامية – وخلافاً لاتفاقية الصلح ، استقرت في النوبة السفلى ، كذلك نزح عدد من النوبيين إلى مصر ، وعملوا جنوداً واعتنقوا الإسلام ، حتى قيل أن المساجد ازدحمت بالجند النوبيين زمن حكم الطولونيين في مصر .

(٣) انهيار وزوال مملكة المقرة :

في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي اشتعلت حروب مستمرة بين المماليك والنوبيين ، أدت في النهاية إلى انحلال وزوال مملكة المقرة المسيحية . ويرجع سبب تلك الحروب إلى عاملين أولهما غزو النوبيين لميناء عيذاب ونهبه ، وغزو أسوان وتخريبها . والعامل الثاني ازدياد المنافسة بين أفراد البيت النوبي المالك وانحياز المماليك لهذا الجانب أو ذلك .

أما بالنسبة لغزو ميناء عيذاب ، الميناء الإسلامي الذي تقع خرائبه إلى الشمال قليلاً من حلايب ، في عام ١٢٧٢م ، وما أعقبه من غزو لصعيد مصر ،

فيعتقد أن الملك النوبي داؤود قام بغزوتين متآمراً مع الصليبيين الذين كانوا يخططون لشن حملات صليبية جديدة على المشرق الإسلامي ، وأرادوا من داؤود فتح جبهة جنوبية لتشغل مصر ، بينما تتحرك القوات الصليبية لغزوها من جهة الشمال ، ولإحباط ذلك المخطط ، أسرع المماليك للقضاء على خطر النوبيين، وجردوا عليهم الغزوات المتتالية التي أضعفت قواهم وزلزلت ملكهم .

وفي أثناء ذلك انفجرت صراعات داخل البيت النوبي الحاكم حول وراثة العرش . حيث اغتصب داؤود الثاني ولاية العرش النوبي بعد وفاة والده داؤود الأول وكانت ولاية العرش من حق الأمير شكندة ، ابن أخت الملك السابق . فاستنجد شكندة بالمماليك ، وتعهد بموالاتهم إن هم نصروه على غريمه . وبعد هزيمة داؤود الثاني وتنصيب شكندة ملكاً على دنقلا في عام ١٢٧٦م ، التزم الأخير بأن يكون مطيعاً للسلطان المملوكي في كل ما يشرطه عليه . ولكن سلطان شكندة لم يدم طويلاً إذ اغتيل في نفس العام .

وبعد اغتيال شكندة ، صعد على عرش المقرة ملوك نوبيون ناصبوا المماليك العداء ، فتجددت حملات المماليك على بلاد النوبة ، حتى ظهر أمير نوبي مسلم من أدعياء العرش يُسمى سيف الدين عبد الله برشمبو .

ناصر المماليك برشمبو وسيروا معه جيشاً كبيراً مكَّنه من الجلوس على عرش دنقلا في عام ١٣١٧م .

أصبح برشمبو أول ملك مسلم على دنقلا ، ولكنّ ملكه لم يدم طويلاً ، إذ نازعه عليه الكنوز الذين ارتبطوا بالبيت المالك بالمصاهرة .

وأخيراً تمكن الكنوز ، ذووا الأصول العربية النوبية ، من الاستيلاء على دنقلا . وبعد ذلك ترك المماليك المقرة وشأنها وتقسمت المقرة إلى دويلات استقر فيها المسلمون واختلطوا بالأهالي ، ولم تعد المقرة بعد ذلك خالصة للنوبيين وحدهم كما لم تعد مسيحية .

الإسلام في شرق السودان:

البجة والمسلمون :

يعرف سكان شرق السودان قديماً باسم البجة وقد كان انتشار البجة واسعاً إذ امتدت أوطانهم في الماضي بين البحر الأحمر والنيل وصعيد مصر وشمال أثيوبيا .

وبقي البجة على وثنيتهم حتى مجيء الإسلام إلى مصر. وحينما اصطدم المسلمون بالنوبيين لم يتعرضوا للبجة . ولكن انتشار البجة في الصحراء الشرقية حتى حدود مصر ، وغارات البجة المتوالية على جنوب مصر ، أدى في النهاية إلى الاصطدام بينهم وبين المسلمين .

وحدثت أول غارة للبجة على صعيد مصر في عام ٧٢٥م ، تصدى لها المسلمون بقيادة عبد الله بن الحبحاب ، الذي انتصر عليهم ، وكتب معهم عهداً التزم به الطرفان ، كانت أهم شروطه :

١- أن يكفّ البجة عن مهاجمة مصر .

٢- ألا يقتلوا مسلماً أو ذمياً.

٣- أن يدفعوا للمسلمين ثلاثمائة من الإبل كل عام .

ظل البجة ملتزمون بهذا العهد لمدة تزيد عن مائة عام قليلاً . وفي عام ٨٣١م عادوا لمهاجمة صعيد مصر ، وخرّبوه وأخذوا العديد من الأسرى . وحينما عجز المسلمون في مصر عن صدهم ، استعانوا بالخليفة المأمون ، الذي

جرّد عليهم حملة كبيرة بقيادة عبد الله بن الجهم . وبعد أن هزمهم ابن الجهم عقد معاهدة مع زعيمهم كنون بن عبد العزيز . كانت أهم شروطها :

١- أن تكون بلاد البجة ملكاً لخليفة المسلمين .

٢- أن يلتزم البجة بدفع الخراج – مائة من الإبل كل عام .

٣- أن يحترم البجة الإسلام ويحافظوا على المساجد القائمة في أرضهم .

٤- أن يُدخلوا عمال أمير المؤمنين ليقبضوا صدقات من أسلم من البجة .

وفي حقيقة الأمر أن الإسلام كان قد بدأ في الانتشار في بلاد البجة منذ القرن السابع الميلادي وأن بعض المسلمين كانوا قد استقروا في تلك البلاد .

وبعد حملة ابن الجهم ، استقر كثير من المسلمين في بلاد البجة . حيث بهرتهم معادن الذهب في وادي العلاقي .

وحينما تطايرت أنباء وفرة الذهب في وادي العلاقي وحوله ، قصد المنطقة كثير من الناس واستقروا فيها يعملون بالتعدين حتى اشتهرت المنطقة باسم "أرض المعدن " .

وكان من بين الوافدين إلى " أرض المعدن " جماعات من عرب ربيعة وجهينة الذين اختلطوا بالبجة وأثروا فيهم .

وعندما تزايدت أعداد الوافدين على أرض المعدن ، أغار عليهم البجة وقتلوا كثيراً من المسلمين بمناجم الذهب في وادي العلاقي ، وأغاروا على صعيد مصر وامتنعوا عن دفع الخراج . فتصدى لهم في عام ٨٥٤م جيش كبير بقيادة

محمد بن عبد الله اللقمي . وبعد عدة معارك طلب البجة الصلح والتزموا بدفع الخراج وعدم التعرض للمسلمين في أرض المعدن .

الممالك الإسلامية في السودان:

مقدمة :

يطلق اسم " الممالك الإسلامية " على تلك الدول التي قامت في السودان ، وقام على الحكم فيها مسلمون . وأشهر تلك الممالك ، مملكتا سنار ودارفور ، بجانب مملك تقلي . وفترة ازدهار هذه الممالك تبدأ بمطلع القرن السادس عشر الميلادي ، لتنتهي في القرن التاسع عشر الميلادي ، نتيجة للتدخلات الخارجية .

وقبل قيام هذه الممالك ، ظل الإسلام ينتشر في السودان ببطء شديد ، كما أن العرب والمسلمين ظلوا ينسابون داخل بلاد السودان الواسعة ، وعلى مدى قرون عديدة ، وقد أتاح لهم ذلك الانسياب البطيء ، الاختلاط بالسكان المحليين ، ومصاهرتهم ، ونشر الإسلام والثقافة الإسلامية بينهم دون إكراه . ولكن إسلام السودانيين حتى بداية القرن العاشر الهجري ، (السادس عشر الميلادي) ، لم يكن عميقاً واقتصر أحياناً على ترديد الشهادتين كما خلط الناس التعاليم الإسلامية بغيرها من المعتقدات المحلية . وسبب ذلك أنَّ جل المسلمين الأوائل الذين دخلوا السودان ، كانوا من البدو الذين تقل معرفتهم بتعاليم الدين الحنيف كما أنه لم تقم للمسلمين حتى ذلك الوقت دولة ترعى شؤونهم .

وكان لقيام الممالك الإسلامية في السودان في مطلع القرن العاشر الهجري، دور كبير في استقرار مجتمعاتها ، كما كان لها دورها العظيم في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية كما سنرى.

سلطنة الفونج : ١٥٠٤م – ١٨٢١م :

عرفت هذه المملكة بثلاثة أسماء هي : مملك أو (سلطنة) الفونج ، نسبة للبيت الحاكم والشعب الذي كانوا يحكمونه ، كما عُرفت باسم مملكة أو (سلطنة) سنار ، نسبة لمدينة سنار العاصمة ، كما عُرفت باسم السلطنة الزرقاء ، نسبة للون بشرة الحكام .

أصل الفونج :

اختلفت الآراء حول أصل الفونج وموطنهم الأول ، وذلك بسبب الغموض الذي صاحب ظهورهم المفاجئ . ورأي البعض أنهم فرع من الشلك وقال آخرون أنهم فرع من الأسرة المالكة من مملكة برنو ، ويقول الرأي الثالث إنهم عرب هاجروا إلى المنطقة عبر الحبشة .

أما الفونج أنفسهم فيقولون أنهم من بني أمية . ويجد الرأي الأخير ترجيحاً في الروايات الوطنية ، لا سيما وإنه لم تكن للسلاطين لغة سوى العربية كما أنهم يدينون بالإسلام منذ بداية ظهورهم .

قيام المملكة :

تقول أشهر الروايات ، إن الفونج بزعامة عمارة دنقس ، والعبدلاب بزعامة عبد الله جماع خاضوا متحالفين حرباً مع ملك علوة ، وانتصروا عليه في معركة

دارت قرب أربجي في عام ١٥٠٤م ، بينما تقول رواية أخرى إن العبدلاب سبق لهم إسقاط مملكة علوة دون مساعدة الفونج في عام ١٥٠٠م وإن الفونج هاجموهم في عام ١٥٠٤م في أربجي وتقاسموا معهم الملك .

مهما يكن من أمر هذه الروايات فالمؤكد أن اتحاداً ضم الفونج والعبدلاب، تقاسموا بمقتضاه ملك السلطنة ، التي شملت ضمن ما شملت أراضي مملكة علوة.

وبمقتضى الاتفاق بينهما ، أصبح عمارة مقدماً على عبد الله جماع ، ويحمل لقب ملك أو سلطان . وأن يحل عبد الله جماع محله مدة غيابه بمثابة نائب الملك ويحمل لقب شيخ أو لقب " مانجل " .

وبمقتضى الاتفاق أيضاً أصبح ملوك سنار يشرفون على منطقة سنار وإقليم الجزيرة حتى أربجي شمالاً ، بينما أصبحت المنطقة بين أربجي وحجر العسل ، تحت نفوذ العبدلاب . أما الأقاليم إلى الشمال من حج العسل وحتى الشلال الثالث، فقد كانت خاضعة لسلسلة من المشيخات التي تدين بالولاء للعبدلاب . كما أن شرقي السودان كان يخضع أحياناً لنفوذ نواب السلطان من العبدلاب .

وعموماً لم يمارس الفونج والعبدلاب حكماً مباشراً على رعاياهم ، بل حكموهم عن طريق المكوك ، (شيوخ القبائل) ، الذين تمتعوا بشيء من الاستقلال في إدارة مناطقهم ، بينما التزموا بدفع الضرائب المقررة للملك في سنار .

وكان سلطان سنار يقوم بتعيين رؤساء المشيخات في منطقة سنار ، ويقوم شيخ العبدلاب بالتعيين نيابة عنه في منطقة العبدلاب . وكذلك كان السلطان يختار شيخ (مانجل) العبدلاب من ذرية عبد الله جماع .

وعلى الرغم من القدسية والسلطات المطلقة التي كان يتمتع بها سلاطين الفونج إلا انهم اتخذوا لهم وزراء يعاونونهم في إدارة شئون البلاد . وكان الوزير الأول من أهم أعوان السلطان وأكثرهم نفوذاً.

وقد استطاع الوزير محمد أبو ليكلك ، انتزاع السلطة من سلاطين الفونج في عام ١٧٦٢م ثم انتقلت الوزارة والسلطة الفعلية للحكم ، إلى أولاده وعائلته من الهمج حتى نهاية دولة الفونج .

مراسيم تولي السلطة :

ومراسيم تتويج سلطان الفونج الجديد ثلاثة . تبدأ المرحلة الأولى باختيار من بين أفراد البيت المالك ، بواسطة مجلس مكون من كبار رجالات الفونج . ويقوم المجلس بعزله إذا ما اقتضت المصلحة العامة ذلك .

وتبدأ المرحلة الثانية ، وهي مرحلة الاعتزال ، حيث يؤخذ الملك إلى محبس يبقى فيه لمدة سبعة أيام ، يتطهر فيها ولا يتعرض لضوء الشمس . ويبقى مع الملك في محبسه جندي واحد يقوم بحراسته ويقدم له الخدمات الضرورية .

أما المرحلة الثالثة ، فتبدأ بعد يوم الاعتكاف الأخير حيث يقوم الجندي بمرافقة الملك إلى ساحة التتويج ، حيث ينتظره جمع من كبار رجالات الدولة

الشكل (١٢) : يوضح الطاقية أم قرينات

الشكل (١٣) : يبين الككر

والأهالي . وفي ساحة الميدان يحلق رأس السلطان الجديد ويلبس قفطاناً جديداً وعباءة ويضع على رأسه الطاقية أم قرين – (أم قرينات) النظر الشكل (١٢) .

ثم يسلم الملك سيفاً ، ويجلس بعد ذلك على كرسي العرش (الككر) انظر الشكل (١٣) . وفي ختام حفل التتويج يتقدم الوزير الأول ، وكبار رجالات الدولة وغيرهم لمبايعته .

تجارة مملكة الفونج واقتصادها :

كانت سنار حسب روايات الرحالة الذين زاروها في القرن الثامن عشر الميلادي ، مدينة متوسطة الحال ، يسكنها حوالي عشرة ألف نسمة . وكانت مبانيها متواضعة من الطين والقش . ولكنها كانت مدينة تجارية على درجة عالية من الأهمية ، وذلك لالتقاء عدة طرق تجارية عندها .

كان التجار يأتونها بالبضائع من مصر والحجاز والهند ، عن طريق النيل والبحر الأحمر ، كما كانوا يأتونها عبر الطرق البرية من كردفان ودنقلا والحبشة وأثيوبيا . وجرت التجارة في الذهب وسن الفيل والخيل والريش والجلود والبن والأبنوس والصندل والعطور والأقمشة ، وغير ذلك من البائع الأفريقية والمستوردة . وكانوا يتعاملون بقطع من الدمور ، كما استعملت النقود كالريال الأسباني ، وعملة تركية من الحديد .

واعتمد اقتصاد الفونج على الزراعة والرعي . وكان دخل الملوك من الزكاة والفطرة على نحو ما يفرضه الشرع ، كما كانوا يفرضون الجزية على

بعض أقسام دولتهم ، بالإضافة إلى ما يجبى من الرسوم الجمركية على التجارة الخارجية .

التعليم الديني :

كان لقيام مملكة سنار في مطلع القرن السادس عشر الميلادي أثر كبير في استقرار البلاد مما ساعد على بث الثقافة الإسلامية بطريقة أعمق مما كانت عليه في السابق ، وقد أغرى الاستقرار وتشجيع سلاطين الفونج العلماء من مصر والحجاز والمغرب بالهجرة إلى السودان ، والاستقرار فيه . ومن ناحية أخرى شجع الفونج هجرة الطلاب لتلقي علوم الدين في الأزهر والحجاز .

وكان محمود العركي من أول العلماء الذين أسهموا في بث تعاليم الدين الإسلامي بين السودانيين . وفي هذا يقول ود ضيف الله – صاحب كتاب الطبقات – لم يشتهر في تلك البلاد عِلم ولا قرآن . ويقال أن الرجل كان يطلق المرأة ، ويتزوجها غيره في نهارها ، من غير عدة ،حتى قدم الشيخ محمود العركي من مصر ، وعلّم الناس العدة ، وسكن البحر المتوسط* .

ومحمود العركي نشأ بالنيل الأبيض ، وهاجر إلى مصر حيث تفقه في علوم الدين على المذهب المالكي ، وعاد ليؤسس في مطلع القرن السادس عشر ، العديد من الخلاوى في المنطقة الممتدة بين الخرطوم والكوة .

ومن العلماء الذين هاجروا إلى مصر وتلقوا علوم الدين فيها ، الشيخ إبراهيم البولاد بن جابر بن غلام الله بن عائد اليمني . وكان غلام الله ، جد

* يقصد بها (النيل الأبيض) فقد شاع في السودان اطلاق اسم (بحر أبيض) عليه .

إبراهيم ، قد قدم إلى دنقلا في القرن الرابع عشر ، وأسس فيها خلوة يعلم الناس الدين . أما إبراهيم البولاد المولود في دار الشايقية ، فقد تلقى تعليمه الديني في مصر وعاد ليؤسس العديد من الخلاوى التي تدفق عليها طلاب العلم ، وأكمل إخوانه الأربعة رسالته من بعده بتأسيس المزيد من الخلاوى .

ويذكر من علماء المحس المشاهير الذين هاجروا من الشمال واستقروا في كنف الدولة السنارية ، الشيخ إدريس ود الأرباب (١٥٠٧م – ١٦٥١م) الذي أسس الخلاوى في العيلفون ، والشيخ أرباب العقائد (١٩٦١م) مؤسس مسجد الخرطوم العتيق .

ومن العلماء المصريين الذين جاءوا إلى السودان في منتصف القرن السادس عشر الميلادي واستقروا فيه رغبة في نشر تعاليم الإسلام الصحيحة ، الشيخان محمد القناوي ، والشيخ يوسف بن عبد الباقي الزرقاني .

بجانب هؤلاء الفقهاء الأجلاء ، جاء إلى البلاد رجال الطرق الصوفية الذين وجدوا التربة الصالحة لنشر طرقهم .

وكان أول الوافدين من رجال الطرق الصوفية وأشهرهم ، الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي القادري ، جاء من بغداد إلى سنار في حوالي عام ١٥٧٧م وبقي في السودان زهاء سبع سنين ، يعلم الطريقة القادرية ، حتى انخرط في سلكها العديد من العلماء ، وأصبح لها الكثير من الآتباع بين العامة .

وشهدت مملكة سنار قيام طرق صوفية أخرى ، منها الطريقة الشاذلية والسمانية والختمية .

اشتهرت الطريقة الشاذلية على أيدي المجاذيب حتى عرفت أحياناً بالطريقة المجذوبية . وكان من روادها الشيخ حمد بن المجذوب (١٦٩٣م – ١٧٧٦م) .

أما الطريقة السمانية فقد جاء بها من الحجاز الشيخ أحمد الطيب البشير الجموعي (١٧٨٣م – ١٨٥٣م) . وكان الشيخ أحمد قد هاجر إلى المدينة المنورة لتلقي العلم وعند عودته عمل على نشر الطريقة السمانية بين مريديه .

ودخلت الطريقة الختمية مملكة سنار من الحجاز أيضاً . وكان رائدها ومنشؤها السيد محمد عثمان الميرغني الكبير (١٧٨٣م – ١٨٥٣م) .

وخلاصة القول أن شيوخ الطرق الصوفية وجدوا القبول والتكريم من ولاة الأمر في مملكة سنار ، كما تبعهم عامة الناس الذين انخرطوا في هذه الطريقة أو تلك .

ومما جذب الناس لشيوخ الطرق الصوفية ، الاعتقاد فيما يتمتعون به من كرامات ، كما أنهم اتبعوا أيسر السبل في جذب الأتباع ، إذ أخذوا بمبدأ التبسيط والتلقين ، كما استعملوا الطبول والترانيم والمدائح ، وبذلك كان انتشار الإسلام على أيديهم سريعاً وشاملاً .

حروبات السلطنة وتوسعها :

بلغت حدود سلطنة سنار أقصى اتساع لها في عهد السلطان بادي أبو شلوخ (١٧٢٤م – ١٧٦٢م) وكان ذلك نتيجة للانتصارات التي حققتها جيوشش بادي على الحبشة وكردفان .

والأسباب المباشرة للحرب مع الحبشة تعود إلى قتل السناريين لرسل لويس الرابع عشر ، ملك فرنسا ، الذين كانوا يحملون هدايا لملك الحبشة . وتقولُ الرواية إن ملك فرنسا أرسل في عام ١٧٠٣م المسيو دي رول مُحَمّلاً بالهدايا الفاخرة لملك الحبشة إياسو . مرّ دي رول عبر مصر وعندما وصل سنار أحسن بادي استقباله وسمح له بالمرور إلى مقصده ، ولكن بعد مغادرة دي رول لسنار ، وصلت من مصر أخبار تحذر بادي من أن دي رول ذاهب إلى الحبشة لتغيير مجرى النيل وتعليم الأحباش صناعة المدافع . فأرسل بادي خلف دي رول وقتله وغنم الهدايا .

بلغ النبأ اياسو ملك الحبشة فخرج في جيش كثيف للانتقام من السناريين . وبعد قتال شديد انتصرت جيوش بادي ، ونالت بهذا النصر شهرة طبقت الآفاق . فقصدها الناس من مصر والهند والحجاز والمغرب وأقاموا فيها .

ويبدو أنَّ انتصار بادي على الأحباش أغراه بتوسيع سلطانه غرباً فأرسل جيشاً ليضم إقليم كردفان . ولم تكن كردفان حكومة موحدة وإنما خضعت أجزاء الإقليم لمشيخات عديدة كانت أقواها مشيخة المسبعات .

أعَدّ بادي جيشاً كبيراً في عام ١٧٣٣م وعقد لواء قيادته لوزيره محمد ود تومات ، كما حشد في قيادة الجيش عدداً من أكابر رجالات السلطنة منهم عبد الله ود عجيب شيخ قري ومحمد أبو لكيلك كبير الهمج في سنار .

تعرض جيش الفونج في البداية لهزيمة نكراء ، وقُتل قائده ، ولكن محمد أبو لكيلك أعاد تنظيم الجيش وكرَّ على المسبعات وهزمهم . فسُرّ بادي

لانتصارات أبي لكيلك وكافأه بتعينه قائداً عاماً لجيوش السلطنة وحاكماً على كردفان ووزيراً له .

وهكذا بلغت حدود سلطنة الفونج أقصى اتساع لها في عهد بادي ، إذ حدّتها سواكن من جهة الشرق ، ودارفور من جهة الغرب ، والشلال الثالث من جهة الشمال .

تدهور وزوال مملكة الفونج :

جاءت نهاية سلطنة الفونج في عام ١٨٢١م على يد جيوش محمد علي باشا. وفي الحقيقية لم يبد بادي – آخر ملوك سنار – مقاومة للغزاة وإنما خرج مستسلماً لقائد الحملة إسماعيل بن محمد علي . ويُعزى ذلك إلى أن المملكة كانت تشهد انهياراً تاماً في الأربعين سنة الأخيرة السابقة لقدوم جيش محمد علي . ومن أسباب ذلك :

أولاً: النزاع على السلطة بين أحفاد الوزير أبو لكيلك وأحفاد سلاطين الفونج . وكان أبو لكيلك كبير الهمج وقائد جيوش السلطنة ، قد خلع السلطان بادي أبو شلوخ لطغيانه واستبداده ، ونصَّب مكانه ولده نصر بن بادي ، كما أصبح أبو لكيلك وزيراً أول لنصر . وفي الحقيقة أصبحت السلطة الفعلية في يد الوزير ، وهكذا صار الحال بالنسبة لخلفاء نصر من الفونج ، لهم السلطة الاسمية وللوزراء الهمج السلطة الفعلية .

وقد أدى ذلك لسلسلة من الصراعات بين الهمج والفونج ، من جهة وبين من كانوا يتطلعون للسلطة من الهمج من جهة أخرى .

ثانياً: أدى الاضطراب في سنار إلى اضطراب مماثل في أجزاء السلطنة المختلفة، وخرجت عن السلطة المركزية وانفرط عقد وحدة المملكة .

ثالثاً : تعطلت التجارة وتدهورت الحالة الاقتصادية لغياب الأمن ، واستعار الحروب القبلية ، فاستعان بعض السودانيين بمحمد علي باشا ليغزو السودان ليضع حداً لتلك الفوضى .

وهكذا طويت صفحة مجيدة من تاريخ السود تحقق فيها نوع من الوحدة ، وأدى ذلك لترسيخ الدين الإسلامي وانتشاره بين أهل البلاد كما أدى لبذر نواة القومية السودانية .

سلطنة الفور

مقدمة:

يعد الداجو – وهم من أقدم سكان دارفور – أول من أسس ملكاً في دارفور خلال القرنيين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين . وفي القرن الخامس عشر الميلادي فقد الداجو سيطرتهم على دارفور ، حينما تمكن التنجور من السيطرة على الطرق التجارية .

وبعد أن بسط التنجور سلطانهم على دارفور وأجزاء من مملكة ودَّاي المجاورة ، خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، أخذ الإسلام ينتشر في دارفور على أثر موجات الهجرات العربية للمنطقة .

واستقرت مجموعات من القبائل العربية في سهول دارفور الجنوبية ، وهم من عُرفوا بالبقارة ، نسبة لرعايتهم للماشية ، ومن قبائل البقارة في دارفور نذكر المسيرية ، والرزيقات ، والهبانية ، وبني هلبة . ولم يبق هؤلاء الأعراب معزولين وإنما اختلطوا بالسكان المحليين اختلاطاً شديداً .

أما في شمال دارفور فقد استقرت قبائل عربية أخرى احترفت تربية الإبل ومنهم فزارة ، وبني جرار ، وبني عمران ، المحاميد .

سيادة الفور :

قامت سلطنة الفور في أواسط القرن السابع عشر الميلادي . وقد مهد لقيامها اضطراب الأحوال في مملكة التنجور ، حتى أن بعض أجزاء هذه المملكة خضعت لسلطان مملكة البرنو .

وفي هذه الظروف المضطربة بدأ الفور بقيادة أسرة الكيرا ، وهي فرع من الكنجارة ، أحد قبائل الفور الرئيسة ، من فرض سيادتهم على دارفور وانتزاع السلطة من التنجور .

إدارة سلطنة الفور :

كانت حكومة الفور ملكية اعتمدت كثيراً على شخصية السلطان . وكان للسلطان مجلس خاص من المقربين والأعيان ، يستشيرهم في تسيير أمور الدولة. واعتمد السلاطين على الإدارات الإقليمية في الإشراف على والسيطرة على أطراف المملكة الواسعة ، وقد قسمت السلطنة إلى أربعة أقسام إدارية كبيرة ، على كل قسم حاكم يلقب بنائب الملك ، وهو من أهل الإقليم ، ويساعده في إدارة الإقليم، الشراتي والعمد والدمالج والمشايخ .

وفي عهد السلطان موسى بن سليمان أدخلت بعض التعديلات بغرض ضمان ولاء حكام الأقاليم إذ ألقي منصب نائب الملك ، وحل محله المقدم ، وأصبح المقدم يُختّار من رجال حاشية الملك ، بدلاً من أهل الأقليم .

وكان القضاء في سلطنة الفور شرعياً في الأحوال الشخصية كما كان هناك قانون وضعي للمسائل المدنية .

سليمان سولونق :

تتفق معظم الروايات الشفهية في دارفور على أن عربياً من العباسيين اسمه أحمد بن سفيان ، واشتهر باسم المعقور ، التجأ من تونس إلى قبيلة الفور في جبل

مرة في القرن الخامس عشر الميلادي وتزوج إبنة زعيمهم شاو دورشيت . وأن أحفاد المعقور من سلالة الكيرا ظلوا يحكمون دارفور حتى عام ١٨٧٤م .

ويعد السلطان سليمان سولونق من أشهر السلاطين الذين انحدروا من سلالة أحمد المعقور . وحينما تولى العرش في حوالي عام ١٦٤٠م اتخذ من جبل مرة منطلقاً له وأظهر اهتماماً كبيراً بنشر الإسلام في دارفور بطريقة منظمة ، وهو أول من ينى المساجد في جبل مرة ، وأقام صلاة الجمعة والجماعة .

ولتوطيد دولته وتوسيع رقعتها استعان سليمان بالبدو وتحالف معهم لحرب بقايا التنجور ، وإخضاع قبائل دارفور الأخرى .

وبعد وفاة سليمان سولونق في حوالي ١٦٦٠م اكتنف الغموض إنجازات خلفائه ، إلا أنه من المرجح أنهم ساروا على طريقته في الحكم والتوسع .

السلطان تيراب :

في منتصف القرن الثامن عشر اندلعت حروب طاحنة بين الفور ومملكة ودّاي المجاورة . وكان لجيوش ودّاي المجاورة الغلبة والتفوق على جيوش الفور، وعندما تولى السلطان محمد بن أحمد بكر (تيراب) أمر دارفور (١٧٥٢م – ١٧٨٧م) ، سعى للسْلم مع ودّاي المجاورة ، ولم يهمل بناء جيس قوي ليحمي المملكة .

وكان السلطان محمد تيراب محباً للسلم وللترف ، واتسم عهده بالخصب والرخاء ، واشتهر شخصه بالكرم والحلم ، حتى انه لقب تيراباً (أي بذور) .

عبد الرحمن الرشيد :

بعد موت تيراب اندلعت في دارفور حرب أهلية حول اعتلاء العرش . وكان تيراب قد عين ابنه قد عين اسحق خليفة له ، غير إن معارضي ولايته تجمعوا حول الأمير عبد الرحمن بن أحمد بكر . وانتهى النزاع بمقتل اسحق وتولى عبد الرحمن أمر دارفور .

ولما استتب الأمن للسطان عبد الرحمن جعل الفاشر عاصمة لملكه في ١٧٩١م واشتهر عبد الرحمن بالعلم والعدل ، وبلغت سلطنة الفور أوج مجدها في عهده . وفي فترة ولايته انفتحت دارفور على مؤثرات خارجية كثيرة . ومن ذلك تشجيعه لهجرة سكان وادي النيل للإقامة في دارفور للعمل بالتجارة ونشر تعاليم الدين الإسلامي . ومن ناحية أخرى شجع العلماء للهجرة إلى بلاده ، وأغدق عليهم الهبات وأقطعهم الأراضي .

وفي ميدان التجارة توسع في الانفتاح مع البلدان الإسلامية المجاورة . ونشطت التجارة في عهده عبر ثلاثة طرق رئيسة ، هي درب الأربعين الذي يربط دارفور مع مصر شمالاً ، والطريق الذي يربط بين دارفور وتونس وطرابلس ، والطريق الثالث الذي كان يبدأ من غرب أفريقيا ويمر بدارفور إلى سنار ، ثم شندي فالبحر الأحمر .

وساعد هذا النشاط التجاري على انفتاح الفور على العالم الإسلامي وقتباس النظم الإسلامية لإدارة الدولة ، وأصبح السلطان عبد الرحمن على دراية بما

يجري حوله من أحداث . ومن ذلك إرساله الهدايا للسلطان العثماني الذي رد شاكراً لعبد الرحمن مع منحه لقب الرشيد الذي عُرفَ به .

ضعف وانهيار المملكة :

وفي عهد السلطان محمد الفضل (١٨٠١م – ١٨٣٩م) بدأ الضعف السياسي يدب في كيان دولة الفور .

ثم أطلَّ الخطر الخارجي في عام ١٨٢١م المتمثل في الغزو التركي المصري ، فانتزع الدفتردار كردفان من المقدوم مسلم نائب السلطان . وأخيراً سقطت مملكة الفور على يد الزبير باشا رحمة في عام ١٨٧٤م وخضعت دارفور للحكم التركي المصري بعد نفي الزبير إلى مصر .

مملكة تقلي

مقدمة :

نشأت مملكة تقلي في القرن السادس عشر الميلادي في الجزء الشمالي الشرقي من جبال النوبة . وتنسب المملكة لجبل تقلي الذي تبلغ مساحته ٤٠ ميلاً مربعاً ويحتضن الكثير من القرى .

ومنطقة جبال النوبة من المناطق التي أثرت فيها الهجرات العربية منذ بداية القرن السادس عشر . واختلط العرب ببعض سكان جبال النوبة بالمصاهرة .

ومع انتشار الإسلام والقبائل العربية في كردفان ، أخذ بعض الأفراد من سكان النيل يهاجرون إلى جبال النوبة ، خاصة إلى المنطقة الشرقية لأنها أقل وعورة . ومن بين أولئك المهاجرين جاء إلى المنطقة فقيه (فكي) يدعى محمد الجعلي . رَحَّبَ الأهالي بقدوم محمد الجعلي لورعه وحسن أخلاقه فزوجه زعيم تقلي (كير كير) ، ابنته في عام ١٥٤٠م وأنجب ولداً اسماه قيلي أبو جريدة .

قيام مملكة تقلي :

بعد وفاة الجد " كير كير " ، تولى أبو جريدة زعامة أهله على عادة السودانيين في توريث ابن البنت . وبتنصيب قيلي أبو جريدة في حوالي عام ١٥٧١م وُلِدَتْ مملكة تقلي الإسلامية .

توسع المملكة وحروباتها :

توسع سلطان ملوك تقلي وبسطوا نفوذهم على كل المناطق المجاورة ، حتى شملت مملكتهم كل الإقليم الواقع بين مدينة تلودي في الجنوب ، وخور أبو حبل في الشمال .

وفي علاقاتهم الخارجية تَعَرَّضَ أهل تقلي للغزو مرتين ، إذ هاجمهم الفونج من الشرق ، وهاجمهم الفور من جهة الغرب .

الفونج وتقلي :

كانت العلاقة بين الفونج والتقلاويين حميدة وحميمة ، إذ تزوج السلطان قيلي أبو قرون ، (١٦٤٠م) ، ابنة سلطان الفونج بادي .

وفي عهد السلطان بادي أبو دقن (١٦٤٤م – ١٦٨٠م) غزا الفونج مملكة تقلي بغرض إخضاعها . ويقال إنَّ السبب المباشر لهذا الغزو ، أن سلطان تقلي فرض ضريبة كبيرة على أحد أصدقاء سلطان سنار ، وأساء معاملته ، فخرج بادي لمقاتلته . وكان سلطان تقلي يقاتل الفونج بالنهار ، ويرسل إليهم الطعام ليلاً فسُرَّ منه سلطان سنار وصالحه بعد أن فرض عليه خراجاً معلوماً .

وخلاصة القول إن هذه المملكة قامت بدور كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في مساحة واسعة من جبال النوبة . وقد تم لها ذلك وفق خطط مدروسة، أولها التبشير العادي ، وثانيها الاختلاط والمصاهرة ، وثالثها تشجيع القبائل العربية على الاستقرار في كنف مملكتهم . وأخيراً شجَّع ملوك تقلي العلماء والفقهاء على القدوم إلى بلادهم ، والاستقرار فيها . ومن نتائج ذلك أن الطريقة القادرية شقت طريقها إلى تقلي في عام ١٥٧٠م وأصبح لها كثير من الأتباع هناك.

الأسئلة

١- كيف دخل الإسلام السودان؟

٢- ما أثر خول الإسلام على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في السودان؟

٣- تحدث عن الممالك الإسلامية التي ساهمت في انتشار الإسلام في السودان.

الفصل الخامس

الإسلام في شمال وغرب أفريقيا

دخل الإسلام مصر وشمال أفريقيا فى العصور الاسلامية المبكرة ، منذ عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وظل ينتشر حتى وصل الأندلس . وقامت حضارات هناك عالية الشأن ، حتى أصبحت القاهرة والقيروان وفاس والزيتونة وقرطبة ، تنافس دمشق وبغداد .

وقد أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان فى تونس سنة ٥٠ هـ . وكانت مركزاً حصيناً اتخذه المسلمون قاعدة لنشر الإسلام فى شمال أفريقيا وغربها . وقد نجح عقبة بن نافع فى نشر الإسلام بين البربر - سكان البلاد الأصليين – ولكن انتشاره كان بطيئاً ، وذلك لانشغال عقبة بن نافع بحرب الروم ، وقد أنزل بهم هزائم متتالية ، فدبروا له مؤامرة لاغتياله فى موقعة تهودا ، وخلفه زهير إبن قيس الذى اقتصَّ له ، وقضى على مقاومة الروم إلا أنه استشهد أخيراً وخلفه حسان بن النعمان الذي واصل حرب الروم وكسر شوكتهم .

ومن أعمال حسان بن النعمان :-

(١) مواصلة نشر الإسلام .

(٢) المساواة بين العرب والبربر .

(٣) تدوين الدواوين باللغة العربية .

وبعد أن خُلِعَ حسان من منصبه ، خلفه موسى بن نصير الذى أتمَّ فتح الأندلس سنة ٩٢ هـ ، مع قائد قواته طارق بن زياد الذى كان ينوب عنه فى ولاية المغرب الأقصى متخذاً طنجة حاضرة لولايته .

وبعد فتح الأندلس شعر البربر بأنهم أصبحوا حماة الاسلام وجنده ، وأن عليهم مواصلة مهمة نشره .

نماذج لممالك اسلامية فى شمال وغرب افريقيا

تمهيد :

ساعد موقع شمال أفريقيا ومصر خاصة ، وبُعدُها عن مركز الخلافة العباسية فى بغداد ، على تفكير بعض ولاتها على الاستقلال بها . وأول أولئك الولاة ، السري بن الحكم ، الذى جعل مصر تابعة اسمياً للخلافة العباسية . وقد اتخذ السري مدينة تنيس ، (شرق الدلتا) ،عاصمة له ، (٢٠٠ هـ) أما في عام ٢٦٣هـ ، فقد استقل أحمد بن طولون بشؤون مصر الداخلية والخارجية ، عدا الأموال التي كانت تؤدى سنوياً لبغداد .

وظلت مصر على استقلالها في عهد الدولة الطولونية ، وعادت إلى تبعية، الخلافة العباسية سنة ٢٩٢هـ ثم استقلت مرة أخرى على يد محمد بن عفج الإخشيدى وأبنائه (٣٢٣ هـ – ٣٥٨ هـ) .

الدولة الفاطمية (٢٩٧ هـ – ٥٦٧ هـ) : انظر الشكل (١٤)

قامت في شمال أفريقيا حركة شيعية تنسب إلى السيدة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم . وأسفرت تلك الحركة عن قيام الدولة الفاطمية بالمغرب ، سنة ٢٩٧ هـ ، وقد غدت تلك الدعوة سريَّة منذ قيام الدولة العباسية ، وفي أحد مواسم الحج ، تعرَّف أحد دعاة الشيعة ، واسمه أبو عبد الله الشيعي ، إلى جماعة من حجاج شمال أفريقيا، ونجح في استمالتهم الى العقيدة الشيعية ، ثم صحبهم إلى بلادهم .

وجد أبو عبد الله الشيعي مجالاً لدعوته في شمال أفريقيا ، وظل العمل سراً حتى أضحى قوة عسكرية قضت على حكم الأغالبة ، (في تونس حالياً) سنة ٢٩٦هـ ، ثم عين أبو عبد الله الشيعي أحد سلالة سيدنا علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – ويدعى سعيد بن الحسين ، إماماً ولقبه عبيد الله المهدي، وقد اتخذ عبيد الله المهدي عاصمته في ضاحية من ضواحي القيروان (رقادة) وفي سنة ٣٠٧هـ ، انتقل منها إلى مدينة المهدية التي بناها على ساحل تونس ، ومن هناك بدأ عبيد الله يعمل من عاصمته الجديدة على امتداد سلطانه غرباً ، نحو الجزائر ومراكش ، وشرقاً نحو ليبيا ومصر ، وأعلن نفسه خليفة ، فصار في العالم الإسلامي ثلاثة مراكز للخلافة : العباسية في بغداد ، والأموية في الأندلس والمهدية في تونس .

وقد سار أبناء عبيد الله المهدي على نهج سياسته التوسعية حتى استطاع أحدهم وهو المعز لدين الله الفاطمى ، فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ . وكان قائد جيوشه

جوهر الصقلي ، الذي تمكن من الاستيلاء على مصر بسبب ضعف الإخشيديين من جانب ، وقوة جيوش الفاطميين من جانب آخر . وبعد أن تم فتح مصر ، أسس جوهر الصقلي مدينة القاهرة قبل قدوم الخليفة المعز لدين الله ، سنة ٣٦٢ هـ . وقد اتخذ الخليفة المعز لدين الله مدينة القاهرة عاصمة لدولته ، والتى أصبحت عاصمة الدولة الفاطمية . ومن بعد ذلك توسعت دولة الفاطميين حتى شملت الشام والحجاز واليمن . واشتدت المنافسة بينها وبين العباسيين ، ثم ضعف شأن الخلافة العباسية ضعفاً شديداً ، في الوقت الذي وصلت فيه الخلافة الفاطمية إلى مركز الصدارة في العالم الإسلامي ، كما تفوق أسطولها على أسطول الامبراطورية البيزنطية ، وتحدى الفاطميون خلافة الأمويين في الأندلس ، وحاولوا بسط نفوذهم على القسم الغربي من البحر المتوسط .

مظاهر الحضارة في الدولة الفاطمية :

تعد مدينة القاهرة أول مظهر للحضارة الفاطمية ، وقد وضع أساس تلك المدينة جوهر الصقلي ، وتمَّ تشييد الجامع الأزهر ،وأقيمت فيه الصلاة لأول مرة فى رمضان سنة ٣٦١هـ ، وفى سنة ٣٧٨هـ ، أصبح جامعة يَفِدُ اليها طلاب العلم، وكان ذلك فى عهد العزيز بن المعز لدين الله . وظل الازهر يؤدى دوره حتى اليوم فى شتى ضروب العلم والمعرفة .

ومن المجالات التي أبدع فيها الفاطميون ، بناء القصور الضخمة وتزيينها، كما اشتهروا ببناء [المناظر] وهى الأماكن التى تشرف على الجهات التى تقام فيها الحفلات الرسمية عند استعراض الأساطيل الحربية والجيوش .

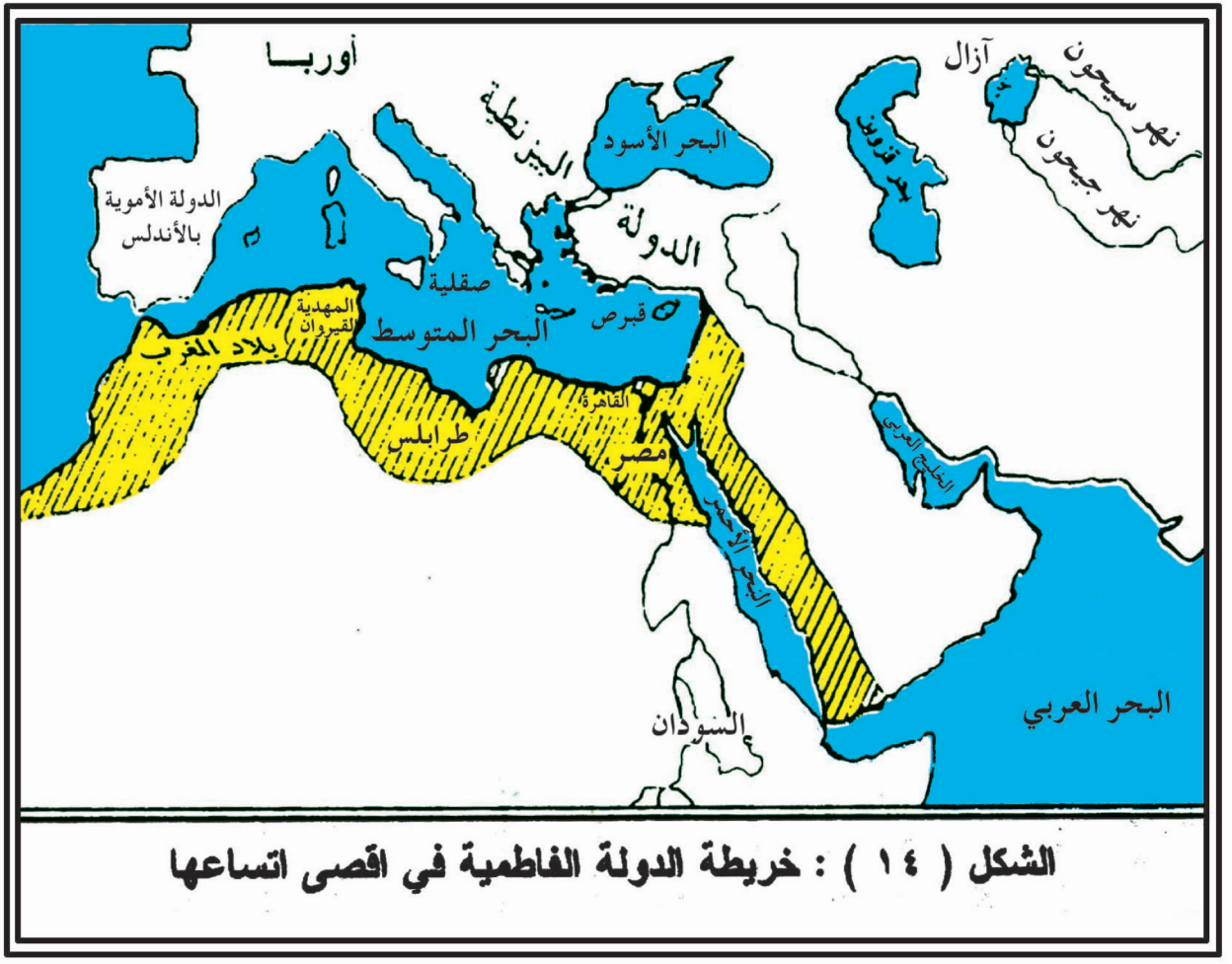

الشكل (١٤) : خريطة الدولة الفاطمية في اقصى اتساعها

الأعياد والمواسم :

وعُرِفَ عن الفاطميين اهتمامهم الخاص فى الاحتفال بالأعياد والمواسم ، وبالمناسبات الاسلامية وغيرها مثل يوم عاشوراء ، والمولد النبوى ، وليلة النصف من شعبان وأعياد الميلاد ، كما أهتم الفاطميون كذلك بأحياء المناسبات المصرية القديمة مثل : عيد النيروز : وهو أول السنة القبطية حيث تشعل النيران فى ليلة ذلك العيد ، مع رش الطرقات والبيوت بالماء ، تبركاً بقدوم فيضان النيل، بالإضافة لعيدي الفطر والأضحية .

انهيار الدولة الفاطمية :

وعلى الرغم من عظمة الدولة الفاطمية وقوتها واتساعها ، لم تستطع أن تجذب أهل السنة ، وبمجئ الحاكم بأمر الله سنة (٣٨٧ هـ - ٤١١ هـ) وادعائه الألوهية ، أخذت الدولة الفاطمية تفقد هيبتها ، وذلك لإصرار الحاكم بأمر الله على الدعاية لمذهبه واضطهاده للطوائف التي أصرت على مخالفته ، كما أنه اضطهد الأقباط واليهود . وقد انتهت حياة الحاكم بأمر الله بأن اغتيل ليلاً في صحراء المقطم .

عاشت الدولة فترة طويلة بعد الحاكم بأمر الله ، ومن أجل تقوية جيشها عمدت إلى استجلاب مختلف الأجناس من السودان والبربر والترك والأرمن ، فهيَّأت بذلك أسباب كراهيتها خاصة بين المصريين ، ثم ظهر التنافس بين الأجناس المكونة للجيش . وأهْمِلَ أمر الأمن اللازم للنشاط الاقتصادي والثقافي . وفي عهد

الخليفة المنتصر ، طرأ على الدولة غلاء ، واستمر سبع سنوات أعقبه طاعون ، وأدى كل هذا إلى زوال ما تبقى من هيبة الدولة .

وفي تلك الظروف ، تعرضت الدولة إلى خطر خارجي من ناحية الدولة السلجوقية ، ومملكة بيت المقدس الصليبية . وقد تمكن السلاجقة من إزالة سلطان الفاطميين من معظم بلاد الشام ، ثم قضى الصليبيون على نفوذ الفاطميين في تلك البلاد نهائياً ، كما ذهب سلطانهم عن شمال أفريقيا ، لاستقلال ولاتهم هناك وبالتالي ، لم يبق للدولة الفاطمية سوى مصر .

ازداد موقف الدولة الفاطمية سوءاً حين أخذت مملكة بيت المقدس الصليبية تطمع في مصر نفسها ، مع بقاء الخطر السلجوقي ماثلاً في الدولة الزنكية، باستيلاء الأتابك عماد الدين زنكي ،على الموصل وحلب ، بينما استولى إبنه نور الدين على دمشق سنة ٥٤٣ هـ . ثم تطور الأمر إلى منافسة بين مملكة بيت المقدس الصليبية ، ونور الدين بن عماد الدين زنكي ،عندما اضطربت الأحوال الداخلية في مصر. وقد انتهت تلك المنافسة بانتصار جيوش نورالدين . وكان من ضمن قادة تلك الجيوش ، صلاح الدين الأيوبي ، الذي أسندت إليه الوزارة بعد عمه شيركوه ، وذلك في عهد الخليفة الفاطمي ، العاضد ، الذي توفى سنة ٥٦٧ هـ ، وبوفاته انتهت الدولة الفاطمية تماماً في غير جلبة أو ثورة أو حرب؛ وجاءت من بعدها الدولة الأيوبية .

الأسئلة

(١) من مؤسس مدينة القيروان ؟ ومتى كان ذلك ؟

(٢) من القائد الذي أتم فتح الأندلس ؟ ومتى كان ذلك ؟

(٣) اذكر الدويلات التي سبقت الدولة الفاطمية في مصر ؟

(٤) اكتب باختصار عن قيام الدولة الفاطمية بالمغرب ؟

(٥) من مؤسس مدينة القاهرة ؟ ومتى ؟

(٦) للحضارة الفاطمية مظاهر عديدة – أذكر اثنين منها ؟

(٧) انهارت الدولة الفاطمية رغم قوتها واتساع أراضيها – عَلِّلْ لذلك ؟

(٢) دولة المرابطين :

خرج يحيى بن إبراهيم ، زعيم قبائل الملثمين للحج في عام ١٠٤٨ م ، وعندما رجع من الحج طلب من شيخ المذهب المالكي بالقيروان ، أبا عمران الفاسي ، أن يرسل معهم فقيهاً يعلمهم ويرشدهم ، فاختار لهم عبد الله بن يس وبعد وفاة يحي بن إبراهيم ، أفترق الملثمون وابتعدوا عن عبد الله بن يس ، لأنهم استصعبوا عمله ، فأعرض عنهم وترهب . وتبعه البعض وانتبذوا الناس في ربوة أسموها (رباطاً) - أي قاعدة يرابطون فيها للجهاد ضد الكفار ، أو يتفرغون فيها للعبادة والتأملات الروحية والتعليم ، وكان ذلك الرباط يقع في جزيرة بجمهورية السنغال الحالية . وبمرور الزمن تكاثر مريدو عبد الله ابن يس، وكون جيشاً كبيراً وقاده لمحاربة نظم الحكم القائمة آنذاك في غربي أفريقيا ، ومعه يحيى بن عمر . وسيطر على سجلماسه (المركز العظيم لتجارة الصحراء) ، ثم غزا أودغست - (في موريتانيا الحالية) - عام ١٠٥٤ م ، وهي أيضاً مركز تجاري عظيم في قلب الصحراء – وكانت أودغست خاضعة لغانا الوثنية .

وتوفي يحيى بن عمر عقب ذلك في عام ١٠٥٦ م ، وخلفه أخوه أبوبكر وابن عمه يوسف بن تاشفين ، وبدأ بهما ملك المرابطين ، الذين زحفوا نحو الشمال . وفي عام ١٠٥٩ توفي عبد الله بن يس .

قامت ثورات ضد المرابطين في الجنوب وتمكنوا من القضاء عليها .

وفي عام ١٠٧٦م أصبحت مملكة غانا جزءاً من دولة المرابطين . وتُعتبر الدولة المرابطية أول دولة وحَّدت المغرب الأقصى والأوسط ، وقامت بدور كبير في نشر الإسلام على الساحل الأفريقي الغربي ، وبلاد السودان بقيادة عبد الله بن يس وخلفاؤه .

(٣) مملكة غانا :

تعد غانا أقدم دولة عُرِفَتْ فى غرب افريقيا ، وكان موقعها جنوب موريتانيا الحالية ، وكانت عاصمتها كومبى صالح ، وبدأ ظهور دولة غانا فى القرن الأول الميلادى ، على يد جماعة وفدوا من الشمال وكانوا أكثر ثقافة من المواطنين الاصليين ، الذين ينتمون إلى قبائل السوننكى . وفى القرن الرابع الميلادى وفد الى الجنوب جماعات من البربر ، ولديهم اسلحة لم يعرفها السكان الأصليون ، واستطاع الوافدون أن يفرضوا أنفسهم حكاماً على السوننك ، وبمرور الزمن تم الاختلاط ، بين البربر ، والزنوج بالمصاهرة . وظهر بين البربر زعيم قوى اسمه كارا ، استطاع أن يؤسس دولة قوية وظلت سلالته تحكم هذه الدولة حتى قرب نهاية القرن الثامن الميلادى .

امتدت مملكة غانا وشملت المساحات بين أعالي نهر السنغال ، وأعالي نهر النيجر ، وكانت مملكة زراعية إقطاعية . كما اشتغلت بالتجارة ، واستخراج الذهب ، وبلغت درجة من القوة والثراء حتى صار ملوكها يُلَقَّبُون بملوك الذهب، كما عرفت بأرض الذهب .

وفى سنة ٧٧٠م ، قامت أسرة من السوننك ونجحت فى طرد أسرة البربر الحاكمة ، وتوسَّعَ ملوك أسرة السوننك ، حيث استولوا على أودغست عام ٩٩٠م وهى من أهم محطات القوافل ، وبها سوق لأنها ملتقى طرق . وأهلها مسلمون، وبها مساجد واسعة ، وقد ظَلَّت الاسرة السوننكية تحكم غانا حتى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى ، باستثناء الفترة التى استولى خلالها المرابطون على عاصمة غانا من عام ١٠٨٦م – ١٠٨٧م . وفى عهد هذه الأسرة بلغت مملكة غانا ذروة مجدها وعظمتها واتساعها ، كما اشتهرت بثرائها وقوتها . فبلغت تمبكتو فى الشرق ، ومنابع نهر النيجر فى الجنوب الشرقى ، ومنابع نهر السنغال فى الجنوب ، والجنوب الغربى ، وحدود التكرور فى الغرب .

والراجح أن أعداداً كبيرة من سكان غانا قد اعتنقوا الاسلام ، حتى ملوكها، وأصبحت حكومتها إسلامية بعد استعادة السوننك لنفوذهم من المرابطين (١٠٨٧م) . وقد عملت حكومة غانا الاسلامية على الاتصال المباشر بالخلافة العباسية فى بغداد ، وادعى ملوكها أنهم ينتسبون الى البيت العلوى ، وحكموا فى بلادهم كممثلين للخليفة العباسى . وكان نظام الحكم فى مملكة غانا وراثياً .

وفى مجال الحياة الروحية والثقافية ، برزت الآثار العربية والاسلامية. ضَمَّتْ غانا عدداً من المساجد ومدارس تعليم القرآن الكريم ، وقواعد الدين واللغة العربية ، التي كانت أيضاً لغة التجارة والمكاتبات .

وقد أقبل الأفريقيون على الإسلام ومناهل العلوم العربية بحماس تلقائي، وذلك بسبب ما اتصف به الإسلام والمسلمون من تسامح وفضائل وكفاءة فى شتىالميادين الاقتصادية والإدارية .

كما مر سابقاً ، فان المرابطين قد سيطروا على غانا وعاصمتها كومبى صالح (١٠٨٦م – ١٠٨٧م) ، وتمكن السوننك من استعادة نفوذهم من المرابطين ، وَلَكِنْ جاءتهم الضربة القاضية بعد ذلك من قبائل الصوصو الوثنية (فرع من الفولانيين) - واستولى سومانجورو ، أعظم ملوكهم ، على العاصمة كومبى عام ١٢٠٣م وخُرّبَتْ مدينة غانا ، وبذلك انتهت سيادة الملوك الغانيين المسلمين . والدولة الحديثة التى نشأت على أرض تلك المملكة هى مالى وموريتانيا انظر الشكل (١٥) .

ومما تجدر الإشارة اليه أنه لا علاقة من ناحية السكان والأرض بين غانا القديمة وغانا الحديثة - وسبب تسمية غانا الحديثة أن الاكانيين الذين يسكنون غانا الحديثة قد تلقوا الكثير من حضارة غانا القديمة ونظروا إليها باعتبارها أصل حضارتهم الافريقية .

(٤) مملكة الهوسا :

تقع بلاد الهوسا في نيجيريا الشمالية حالياً ، بين صنغى فى الغرب، وبرنو فى الشرق ، وهى عبارة عن سهول خصبة . وكانت تحت نفوذ جيرانها من الممالك الكبيرة فى بعض الأحيان . وشَعْبُ الهوسا ليس قبيلة واحدة ، وقد جاء نتيجة امتزاج ظل يحدث خلال عدة قرون ، بين مجموعات قبلية كثيرة . وعلى

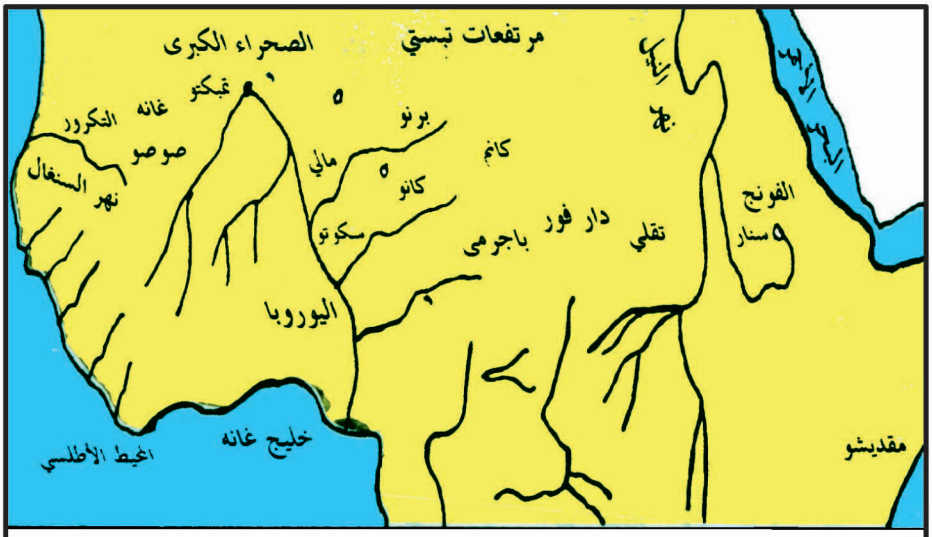

الشكل (١٥) الإمبراطوريات والسلطنات الإسلامية
جنوب صحراء أفريقيـــا قبل الإستعمـــار الأوربـــي

الرغم من اللغة والثقافة المشتركة ، لم يتوحد الهوسا فى كيان واحد ، بل ظلت الحروب متكررة بين إماراتهم .

ويُرَجَّح أنَّ الحكام الأوائل لهذه الامارات كانوا من أصل بربرى ، وذلك لأن خلافة الحكم عندهم كانت تقوم على أساس الصلة من جانب الأم (النظام الأمُومِى الذى كان سائداً بين قبائل البربر) . كما اتَّضح أنَّ لغة الهوسا أقرب الى لغة البربر .

وفى أوخر القرون الوسطى قامت إمارات مثل : دورا ، وجوبر وكانو . ويرى البعض أن دورا هى أقدم إمارات الهوسا بينما كانت إمارة جوبر أقواها وكان اسم جوبر يطلق على بلاد الهوسا فى كثير من الأحيان .

النشاط الاقتصادي :

كانت الزراعة هى مهنة معظم أفراد شعب الهوسا . أمَّا فى مجال الصناعة فقد قامت عندهم صناعة الحديد ونسيج الأقمشة وصبغها ، بالإضافة لصناعة الجلود

كانت بعض مدنهم تحتل موقعاً ممتازاً على الطريق الجنوبى وهو من أهم طرق القوافل الذى يمتد من تونس مارّاً بمدينة غانا . وقد اشتهرت امارات الهوسا بعد انهيار مملكة صنغى أمام الغزو المراكشى فى نهاية القرن السادس عشر الميلادى . وقد سيطر تجار الهوسا على النشاط التجارى فى جميع انحاء السودان الاوسط ، وتضخمت جالياتهم فى كل المراكز التجارية المهمة ، واصبحت لغتهم هى لغة التخاطب العامة فى الأسواق .

انتشار الإسلام في ممالك الهوسا : انظر الشكل (١٥)

حتى بداية القرن الرابع عشر الميلادى كانت أكثر إمارات الهوسا على الوثنية ، وبدخول الإسلام فى تلك المناطق ، كانت كانو اسبق إمارات الهوسا دخولاً فى الاسلام ، الذى دخلها حوالي سنة ١٣٠٠م ، على أيدى علماء بشروا ملكها بالإسلام ، فأسلم وأسلم معه كثيرون من قومه ، ثم ازداد انتشار الإسلام فى العهود التى تلت ذلك العهد، خاصة فى عهد الملك عمر الذى أَحَبَّ الاسلام و أَحَبَّ العلماء وقرَّبهم إليه ، وتعلم القرآن والحديث ، وعمل على نشر العلم على أهله ، وشجعهم على طلب العلم والإقبال عليه والتبحر فيه .

وسرعان ما انساب الإسلام فى باقي الإمارات ، وقد اشترك الماندنجو والفولانيون وأهل صنغى ومصر ، فى نشر الإسلام بإمارات الهوسا . وعلى هذا يتضح ان دخول الإسلام لتلك الإمارات لم يكن فى وقت واحد ، ولا من جهة واحدة ، فالولايات الشرقية بدأ وصول الإسلام إليها منذ القرن إلحادي عشر، أما الولايات الوسطى فقد تأخَّر دخول الإسلام لها ، فولاية كاتسينا لم يدخلها الإسلام إلا فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى .

وفى القرن السادس عشر الميلادى استولى اسكيا محمد ، إمبراطور صنغى،على أكبر إمارات الهوسا ، فساعد ذلك على انتشار الاسلام بها ، وأصبحت كانو وكاتسينا مراكز ثقافية بارزة . ومع ذلك ، بقيت الوثنية فى تلك الولايات ، وظلت مملكة جوبر التى بسطت سلطانها على أقصى الشمال من بلاد الهوسا ذات طابع وثنى حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى . وكانت قبائل

الفولانى المسلمة تعمل على نشر الإسلام بها ، فأراد ملك جوبر التصدي لذلك الزحف الإسلامي، ولكن ثورة عارمة هبت نحوه بقيادة عثمان دان فوديو القائد الإسلامي الذي سنتحدث عنه فيما بعد . وقد استطاع دان فوديو أن يُسْقِطَ هذه الدولة ويضمها إلى الإسلام سنة ١٨٠٢م ، ثم هاجم المراكز الوثنية الباقية وضم الولايات الإسلامية الأخرى وكوَّن منها مملكة واحدة تابعة له ، وتم ذلك فى سنة ١٨١٦م .

الفصل السادس

الإسلام في الساحل الشرقي لأفريقيا

بدأت فى العصر الإسلامي الأول ، هجرات عربية الى الساحل الشرقى لافريقيا لأسباب دينية وسياسية واقتصادية . وأول هذه الهجرات كانت هجرة المسلمين الأوائل الى الحبشة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما هاجر الى شرقى افريقيا بعض المسلمين بعد نهاية عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وفى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مـروان (٦٥هـ –٨٦هـ)
هاجرت عدة فرق وقبائل إلى شرقي افريقيا من جهات العراق وشرق الجزيرة العربية ، وأسسوا لهم مراكز إسلامية بالقرب من لاموا (فى الصومال) ، ومن بين الهجرات التى كانت فى عهد عبد الملك ، هجرة سليمان وسعيد من قبيلة الأزد، الذين ثاروا فى وجه الخليفة عبد الملك . وقد أسس هؤلاء مدينة حدابو فى شمال ممبسا .

وفى أواخر عهد الدولة الأموية حدثت هجرة الزيود الشيعة (الزيدية) الذين ينتسبون الى زيد بن على ؛ وهو من سلالة سيدنا على كرم الله وجهه . وقد ظهر زيد فى عهد الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك ونادى بأحقيته فى الخلافة ، وحارب الأمويين حتى قُتِلَ عام (١٢٢هـ) وهرب اتباعه الى شرق افريقيا فراراً

من اضطهاد بنى امية واستقروا فى منطقة بنادر بالقرب من مقديشو ، ونشروا الاسلام على المذهب الشيعى .

وفي خلال العصر العباسى ، فقد حدثت هجرة الاخوة السبعة ، وكان ذلك فى بداية القرن العاشر الميلادى (سنة ٩١٣م) ، وقد هاجروا من منطقة الاحساء ، عاصمة دولة القرامطة ، واستولوا على كل أجزاء ساحل بنادر وامتد نفوذهم جنوبى ممبسا ، وربما وصلوا جزيرة مدغشقر . وقد عمل الاخوة السبعة على نشر الاسلام حتى أصبح معظم الساحل شافعياً على المذهب السنى المناهض للمذهب الشيعى . ونتيجة للصدام الذى حدث بين الشافعية ، والزيدية الشيعة اضطر الشيعة للانسحاب الى الداخل ، وخلا الساحل للشافعية وكان لانسحاب الزيدية الى الداخل فائدته الكبيرة فى نشر الاسلام بين الوثنيين .

ونتيجة للهجرات الإسلامية قامت مراكز استقرار على طول الساحل الشرقى من مقديشو فى الشمال الى سوفالا جنوباً .

وفي حوالي عام ٩٧٥ م ، وصل الساحل الشرقي الشيرازيون الفرس ، تحت زعامة علي بن حسن الشيرازي ، واستولوا علي كل الساحل الشرقي لأفريقيا في سهولة ويسر، وجعلوا كِلْوَة (kilwa) عاصمة لإمبراطوريتهم التي عُرِفَتْ في التاريخ باسم إمبراطورية الزّنْج . وظل الشيرازيون يحكمون الساحل حتى جاء البرتغاليون عام ١٤٩٧ م واستولوا على معظمه . وقد قَدّم الشيرازيون خدمات جليلة للإسلام ، إذ نشروه بين القبائل الوثنية ، وجعلوا اللغة العربية هي الرسمية . كما قاموا ببناء المساجد ودور العبادة .

ومن نتائج هجرات المسلمين إلى الساحل الشرقي لأفريقيا ، قامت بعض المشيخات الإسلامية المستقلة ، ومنها مشيخة مقديشو وبراوة ، وإمارات مثل : مالندي وممبسا ، إلا إن كِلْوَة بسطت سيطرتها على كل المشيخات والإمارات المختلفة بالساحل بالإضافة إلى سيطرتها على الجزر القريبة من الساحل .

الأسئلة

(١) ما أصل تسمية المرابطين ؟
(٢) وضح باختصار دور عبد الله بن يس في قيام دولة المرابطين ؟
(٣) من مؤسس مملكة غانا ؟
(٤) كيف تكونت مملكة غانا ؟
(٥) حدد المناطق التي شملتها مملكة غانا ؟

(٦) لُقّبَ ملوك غانا بملوك الذهب – علل لذلك ؟

(٧) ماذا تعرف عن مدينة أودغست ؟

(٨) اكتب نبذة قصيرة عن نهاية مملكة غانا ؟

(٩) وضح كيف انتشر الاسلام في ممالك الهوسا ؟

(١٠) أذكر أوجه النشاط الإقتصادي في مملكة الهوسا ؟

(١١) للملك عمر واسكيا محمد ، دور كبير في نشر الإسلام في ممالك الهوسا، وضِّح ذلك ؟

(١٢) أكتب باختصار موضِّحاً دور كل من الإخوة السبعة والشيرازيين في نشر الإسلام في الساحل الشرقي لأفريقيا ؟

الفصل السابع

نموذج للحركات والثورات الاسلامية

حركة الشيخ عثمان بن فودى (دان فوديو)

(١١٦٨هـ – ١٢٣٢هـ)

مولده ونشأته وصفاته :

ولد عثمان محمد فودى (فودى معناها في لغة الهوسا الفقيه) في ولاية غوير التى سبق الحديث عنها ، (ولاية سكوتو فى شمال نيجيريا حاليا) . وكان ذلك فى سنة (١١٦٨هـ) ، وهو من قبيلة الفولانى . ولقد نشأ فى حجر والديه الصَالِحْينِ ، وكان لهما فضل توجيهه الى الدين والعلم والعبادة . وقد استقى الشيخ عثمان المبادئ الإسلامية الأولية من أبويه وأخواله وأعمامه ، كما جرت عليه عادة الفولانيين ، وأخذ العلم وحفظ القرآن أيضا من مشايخ عصره وعلمائه، أمثال الشيخ محمد بن راجى ، والشيخ جبريل بن عمر.

ومن أهم الفترات التى قضاها الشيخ خارج موطنه - (غوير فى بلاد الهوسا) - هى فترة ذهابه مع أخيه وساعده الأيمن عبد الله بن فودى ، الى مدينة أغدس - (بجمهورية النيجر حاليا) - للاستزادة من العلم والمعرفة والذخيرة الثورية ، من شيخه جبريل بن عمر الذى كان فى تلك الفترة واحداً من منارات العلم والفكر الإسلامي فى منطقة السودان الأوسط والغربي .

صفاته :

ومما ذُكِرَ عن الشيخ عثمان ، أنه نشأ عفيفاً متديناً أميناً ، وهو عَلَمُ العلماء، ورافع لواء الدين . أحيا السنة وأمات البدعة ونشر العلوم . وكان عالماً بقراءة القرآن الكريم وعلومه ، مع إمامته فى الحديث وفقهه وفى أصول الدين . وكان خطيباً بليغاً وشاعراً فصيحاً ، وقد اتصف بحسن الخلق والتواضع . وكان كثير الحياء والشفقة على الخلق ، ومما عُرِفَ عنه محافظته على مواعيد الصلاة وأدائها فى جماعة .

حركة الشيخ عثمان بن فودى

تعدهذه الحركة من أهم وأشهر الحركات الجهادية الإسلامية فى غربى افريقيا ، وقد بدأ الشيخ عثمان بن فودى دعوته الإسلامية فى عام ١٧٧٤م تقريباً، وهو فى العشرين من عمره فى بلاد الهوسا .

وقد اتبع الشيخ عثمان فى محاولته لإصلاح الأوضاع الدينية والسياسية منهجاً علمياً دقيقاً ، وذلك بتركيزه على ثلاث قضايا رئيسه وهى :

(أ) الاهتمام الكبير بتعليم العامة أصول الدين ومبادىء التوحيد والابتعاد عن البدع والعادات الجاهلية .

(ب) تكوين جماعة من الاتباع المخلصين لنشر افكاره وآرائه وتعاليمه الاسلامية ، بهدف فضح علماء السوء .

(ج) الابتعاد عن الاحتكاك بالسلطات السياسية وعدم الاختلاط بها .

وفى الفترة ما ببين عامي ١٧٨٨م – ١٧٨٩م طالب الشيخ عثمان حاكم غوير بما يأتي :

(أ) السماح له بحرية الدعوة .

(ب) احترام العلماء .

(ج) إطلاق سراح المسجونين .

(د) الامتناع عن فرض الضرائب الباهظة على الرعية .

وقد كان الشيخ عثمان يرمى من هذه المطالب الى أهداف سياسية بعيدة المدى ولم يكن باستطاعته فى تلك المرحلة الدخول فى أية معركة ضد دولة غوير وذلك لقوتها .

وفى بداية الدعوة دخل الشيخ عثمان مع بعض العلماء فى بلاد الهوسا فى مجادلات ومحاورات علمية بهدف تركيز القواعد الإيمانية فى أوساط العامة ، كما اهتم بتربية اتباعه خلقياً وروحياً بهدف تكوين المجتمع الإسلامي السليم .

عاش الشيخ عثمان فى بيئة سياسية واجتماعية معقدة التركيب ومن المشاكل التى واجهها ، كيفية إيصال المعلومات والدروس الدينية الى كافة طبقات المجتمع، وقد نجح الشيخ فى استخدام اللغات المختلفة : لغة الهوسا ، لغة الفولانى (قبيلة الشيخ عثمان) ، الى جانب اللغة العربية . كما استخدم الشعر فى نشر الدعوة الإسلامية .

مراحل حركة الشيخ عثمان :

مرت دعوته بثلاث مراحل هى :

المرحلة الأولى (١٧٧٤م — ١٨٠٣م)

وتعد هذه المرحلة ، المرحلة التكوينية ، ومن السمات المميزة لها أن الشيخ عثمان ركز على دعوة النَّاس كافةً الى الله تعالى وتعليمهم مبادئ الإسلام ومحو الأمية الدينية ، ورفع مستوى الوعي الاجتماعي .

وقد شهدت هذه المرحلة ظهور جماعة الشيخ كجماعة ذات أهداف اجتماعية. وكانت سياستة تهدف الى اصلاح المجتمع فى بلاد الهوسا وما حولها.

ومن أهم المسائل التى اهتم بها الشيخ عثمان فى تلك الفترة الاهتمام بقضايا المرأة الاجتماعية والتعليمية واثبات حقوقها الدينية ، وقد خصص الشيخ عثمان بعضا من كتاباته لمعاجة قضايا المرأة ، بينما رفض الكثيرون من العلماء التقليديين هذا الاتجاه الذى اعتبروه اتجاهاً خطيراً .

المرحلة الثانية (١٨٠٤م – ١٨٢٠م) :

وهذه المرحلة تمثل أهم فترة من فترات الجهاد السياسي في تاريخ غرب افريقيا ففي هذه الفترة تم تحرير معظم ولايات بلاد الهوسا حيث استولى عليها المجاهدون . وقد مثل هذا تحدياً جديداً لحركة الشيخ عثمان بن فودى ، لأن تحرير تلك الولايات بأجهزتها الإدارية ونظمها السياسية يعنى قيام دولة إسلامية بديلاً لتلك الأنظمة السياسية الفاسدة ، التي كانت تحكم البلاد . ومن جانب آخر

واكبت تلك الفترة كتابات جديدة تهتم بالقضايا الإدارية والسياسية والاجتماعية والإقتصادية المتجددة في دار الاسلام الجديد ، وتركزت كتابات الشيخ عثمان وأخيه عبد الله خلال هذه الفترة في قضايا دستورية وقانونية ، حددت فيها معالم الدولة الاسلامية الجديدة وعلاقاتها وسلطاتها المختلفة ومؤسساتها على ضوء الشريعة الاسلامية .

المرحلة الثالثة (١٨١٠م – ١٨١٧م) :

وتمثل هذه الفترة مرحلة تركيز وتوطيد الإنجازات الإدارية والسياسية التى أنجزتها حركة الشيخ عثمان بن فودى ، وتختلف هذه المرحلة عن المرحلتين السابقتين في أنها فترة التعامل مع الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

ونجد ان الحكومة الاسلامية الجديدة التى ترأسها الشيخ عثمان بن فودى ، قد واجهت قضايا جديدة ، ولكن الشيخ عثمان واجه تلك القضايا بأسلوب مرن وتفهم لتلك القضايا الشائكة التى لم تكن واردة في الأذهان عند بدء الجهاد ، وتم ذلك بدون الخروج عن الإطار الإسلامي العام .

وفاته ونهاية دولته :

توفي الشيخ عثمان في عام ١٨١٧م ، بعد أن أسس دولته التي عرفت بخلافة سوكوتو انظر الشكل (١٦) ، نسبة لعاصمتها سوكوتو (١٨٠٤م) ، واستمرت حتى عام ١٩٠٣م ، حيث أصبحت مستعمرة بريطانية - (جزءاً من نيجيريا الحالية) - وظلت هكذا حتى نالت استقلالها في أكتوبر ١٩٦١م .

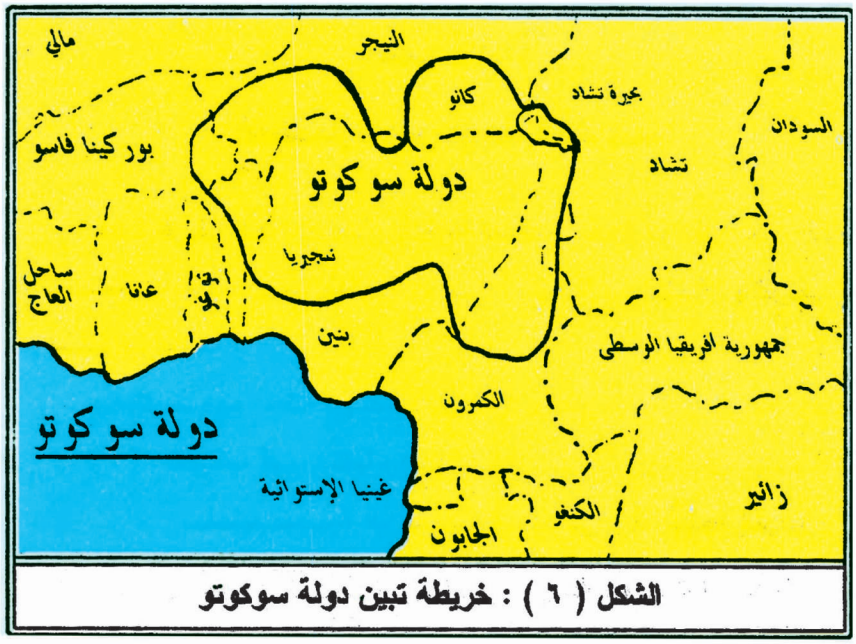

الشكل (٦) : خريطة تبين دولة سوكوتو

الأسئلة

١. أين ولد الشيخ عثمان بن محمد فودى ؟ ومتى كان ذلك ؟

٢. نهل الشيخ عثمان بن فودى العلم والمعرفة من عدة جهات – وضح ذلك ؟

٣. تميزّ الشيخ عثمان بن فودى بعدة صفات - اذكرها ؟

٤. كم كان عمر الشيخ عثمان بن فودى حين بدأ دعوته ؟ وما مدلول ذلك؟

٥. اذكر القضايا الرئيسة التي ركز عليها الشيخ ؟

٦. تتبع مجهودات الشيخ عثمان التى اثمرت عن قيام خلافة سوكوتو ؟ ثم اكتب عوامل نجاحه؟

الفصل الثامن

الاستعمار الأوربي في القارة الأفريقية

كانت افريقيا هدفاً للاستعمار باشكاله المختلفة ، فقد وفدت لها معظم الدول الاستعمارية ، مثل بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وايطاليا ، والبرتغال ، وأسبانيا، وغيرها .

وهناك ظروف داخلية فى افريقيا مهدت لاستعمارها ، ومن تلك الظروف:

(أ) تخّلف أفريقيا تقنياً وعسكرياً عن الدول الأوربية ، لذا كانت أسلحتهم بدائية ،لم تستطع الوقوف فى وجه أسلحة الغرب المتقدمة .

(ب) ضعف وحدة إفريقيا بسبب القبلية والتكتل في شراذم وجماعات متعددة .

(ج) انفراد الزعماء الأفارقة بالسلطة ، فقد كانوا يحكمون بلا منازع ، فتعاونوا مع المستعمرين وعقدوا معهم المعاهدات ، فقد باعوا لهم الافريقى مسترقاً كما باعوا لهم بعض الموانئ والمواقع المهمة .

(د) كانت هنالك عوامل خارجية مهدت لاستعمار القارة تتعلق بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أوربا .

فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى ، أصبحت كل أفريقيا فريسة للاستعمار الأوربي . وقد أبرمت تلك الدول الاستعمارية معاهدات تمَّ

بموجبها اقتسام القارة . ومن تلك المعاهدات معاهدة برلين (١٨٨٤م – ١٨٨٥م) ، وتعد عملاً أوربياً لتنظيم سلب ونهب القارة الافريقية . ومن بنود تلك الاتفاقية:

" أن تلتزم كل دولة من الدول الأطراف فى هذه الاتفاقية ، فى حالة قيامها بوضع يدها أو تقرير حمايتها ،على أي إقليم من افريقيا ، بإبلاغ ذلك إلى الدول الأخرى الموقعة على هذه الاتفاقية " .

وواضح من هذا البند أنه يفتح الباب على مصراعيه للدول الأوربية ، لسلب أية بقعة من افريقيا وليس على الدولة المستعمرة من حرج ، وكل ما عليها أن تبلِّغ بقية الدول الأخرى بذلك حتى لا تنافسها .

وهكذا تتصرف الدول الأوربية من أجل مصلحتها فقط دون أدنى تقدير لحقوق ومصالح الشعوب المستضعفة المستّعْمَرة .

وعقب معاهدة برلين ، عقدت معاهدات أخرى بين الدول الأوربية لتنظيم حدود المستعمرات وتقسيم الأسلاب ومن تلك المعاهدات :

- معاهدة بين المانيا وبريطانيا ، بشأن شرقى أفريقيا ، سنة ١٨٨٦م .
- ومعاهدة بين بلجيكا وفرنسا بشأن الحدود فى منطقة الكنغو، سنة ١٨٨٧م.
- ثم معاهدة بين فرنسا وبريطانيا بشأن الصومال الشمالى ، سنة ١٨٨٨م.
- وايضاً معاهدة بين بريطانيا وإيطاليا بشأن أرتيريا ، سنة ١٨٩٤م

وقد كان من خطط الاستعمار الأوربي إزالة أسماء المناطق والدول الأفريقية وتغيير حدودها وبذلك أعادوا تقسيم القارة وتسمية أجزائها ، ومن الأسماء التي أطلقوها آنذاك :

أفريقيا الغربية البريطانية .

أفريقيا الغربية الفرنسية .

أفريقيا البرتغالية .

وقد سميت أيضاً بعض المناطق بأسماء الفاتحين والملوك الأوربيين ، مثل ليوبولدفيل / استانلي قيل / بحيرة فكتوريا / بحيرة ألبرت / روديسيا .

وشمل الاستعمار كل إفريقيا ولم تنج منه إلا دولتان هما : أثيوبيا وليبريا. وكان نصيب بريطانيا وفرنسا ، نصيب الأسد في إفريقيا ، فاستعمرت بريطانيا مصر ، والسودان ، وكينيا ، ويوغنده ، وزنجبار ، وتنجانيقا والصومال البريطاني ، ونيجيريا ، وغانا ، وسيراليون ، وجنوب أفريقيا ، بينما استعمرت فرنسا تونس ، والجزائر ، ومراكش ، والكاميرون ، ومدغشقر ، وموريتانيا والسنغال ، أما باقي القارة فقد كان من نصيب بلجيكا والبرتغال وإيطاليا وأسبانيا والمانيا انظر الشكل (١٧) .

الشكل (١٧) خريطة توضح الإستعمار الأوربي في أفريقيا عام ١٩١٤ م

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في أفريقيا خلال الحكم الاستعمار :

الاقتصاد :

اهتمت الحكومات الاستعمارية في أفريقيا بزراعة بعض المحاصيل النقدية لتصديرها ، واستيراد السلع الأوربية . وقد صاحب ذلك ، الاهتمام بإنشاء خطوط السكك الحديدية ، وشق الطرق لنقل المحاصيل النقدية وتسويقها . وبالإضافة إلى السكك الحديدية كانت هناك البواخر النيلية . ومما ساعد على تشييد السكك الحديدية وشق الطرق وسير البواخر النيلية ، استتباب الامن والسلم منذ بداية فترة الإدارة الاستعمارية .

ومن أجل تمويل المشاريع الاقتصادية ، لجأ المستعمرون لاستجلاب رأس المال من الشركات الأوربية والأمريكية . ومن السياسات الاستعمارية في مجال الاقتصاد استخدام الضرائب والجمارك لحماية مؤسسات الدول المستعمرة وشركاتها من منافسة الجهات الأخرى ، كما لجأت الدول الاستعمارية لسياسة احتكار بعض السلع ، فمثلاً قامت بريطانيا باحتكار تجارة العاج والقطن في السودان ، وتحويلها لمصلحة الشركات والمصانع البريطانية .

التعليم والبعثات التبشيرية :

أوفدت الدول الاستعمارية ارسالياتها التبشيرية الى أفريقيا ولم تتورع عن اتخاذ الدين وسيلة لتحقيق اطماعها الاستعمارية . وقد تولت تلك البعثات مهمة التعليم فى افريقيا . وبحلول عام ١٩١٤م ، كانت تلك البعثات قد انتشرت فى كل

أنحاء افريقيا تقريباً . وكان هدفها كسب المواطن الافريقى البسيط وضمان ولائه وإخلاصه للكنيسة التى ينتمى اليها المبشرون .

ولم تجد تلك البعثات مقاومة تذكر ، إلا في المناطق التى تغلغل فيها الإسلام، كالسودان ، والسنغال ، وغينيا ، والنيجر ، وشمال نيجيريا ، وتشاد والصومال .

وفى المدارس الكنسية ، كان التلاميذ يذهبون للكنيسة كل يوم أحد . وقد استفاد بعض أبناء الأفارقة من التعليم الغربى ، وبمرور الزمن أصبحت تلك الصفوة من المتعلمين ، بمثابة المنافس الحقيقى للزعامات التقليدية . وبتطور الإدارة الاستعمارية ، وانتعاش الحركة التجارية ونمو الشركات ، وتطور الزراعة - ظهرت حاجة الدولة للافادة من المتعلمين بصورة أوسع وذلك لتوفير الأفارقة الذين يتقنون اللغات الأوربية للافادة منهم فى دواوين الدولة وبالتالي أصبحت المدارس التبشيرية طريقاً للطموح ، وفراراً من مجتمع القرية الى مجتمع آخر ، أكثر ازدهاراً وتطوراً .

ومن الملاحظ أن المبشرين والمستكشفين من الأوربيين قد عملوا على مكافحة الإسلام ، ولم يحاربوا الوثنية ، وكانوا أداة فعالة للحكومات الأوربية الاستعمارية .

وفى كثير من الأحيان عمد المستعمر على فرض لغته وثقافته بالقوة ، فمثلا عمل الفرنسيون فى المغرب العربى والجزائر وتونس على محو أي أثر إسلامي وعربي . وقد استغلت الارساليات فقر الشعب وحاجته إلى الخدمات العامة والرعاية الصحية ، فعملت على نشر المسيحية بين المسلمين ، ولكن لم

يُقَدَّرْ لها إلاّ نجاح محدود ، وخلاصة القول ، إن المبشرين كانوا وسيلة لخدمة الاستعمار .

أثر التعليم في ظهور الحركات الوطنية :

ساعد نظام التعليم الحديث فى إفريقيا -على قلته - على فتح آفاق جديدة للأفارقة . ورغم اهداف الحركة التبشيرية . بدأت الروح الوطنية والقومية تنمو وتتبلور بين فئات المثقفين . وكانت المقاومة عند بداية الاستعمار تأخذ شكلا قبلياً، الأمر الذى جعل المستعمر يجرى وراء إرضائهم بكل السبل ، ومنحهم الهبات والمناصب .

وبنهاية الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٨م ، وبانتهاء جلسات مؤتمرات الصلح فى باريس تم تأسيس عصبة الأمم . وكان على رأس أهدافها إقرار السلام فى العالم تجنباً لويلات الحرب التى حصدت ملايين الأرواح وأفقدت الدول والأفراد الكثير من الأموال والمنشآت الاقتصادية والموارد . وبموجب ميثاق العصبة مُنحت الشعوب حق تقرير المصير ، ونتيجة لذلك انتظم الأفريقيون، وتكونت الجمعيات السرية والعلنية فى عدد من اقطار القارة ، وبدأ المثقفون فى تنظيم وقيادة الحركات الوطنية ضد الاستعمار . وقد الهبت ثورة ١٩١٩م ، فى مصر بقيادة سعد زغلول ، وثورة ١٩٢٤م فى السودان بقيادة على عبد اللطيف حماس الأفارقة ، وكانت تلك بداية اليقظة الوطنية الأفريقية .

وفى كثير من الأقطار الإفريقية انتظمت الثورة على الاستعمار الاوربى وعلى كل مظاهره ، وظهر الاستعداد لمناهضة الاستعمار وطرده بالقوة . وبدأ الأفارقة الوطنيون فى نبذ النظرة القبلية الضّيقة ، واتجه تفكيرهم البعيد لتكوين الحكومات الوطنية . وفى مقابل مواقف الوطنيين اعتبرت السلطات الاستعمارية أن أولئك الوطنيين المثقفين أقلية لا وزن لها ، ولذلك اتجهت الى الزعامات القبلية ، والنظم التقليدية لتوطيد مراكزها ، ونجحت فى ذلك ، ولكن الى حين .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م – ١٩٤٥م) اتسع ، أفق الشعوب الأفريقية عن طريق الاتصالات التى تمت بين الشعوب في أثناء الحرب، وأدركت ما فى العالم من اختراعات حديثة وتنظيمات ، وما تتمتع به الشعوب من ثقافات وحضارات ، وتراث فكرى تركه السلف للخلف . وقد أدركت الشعوب الأفريقية أنه من المستحيل الوصول إلى تلك المستويات الراقية من المدنية والتقدم إلا بالعلم والمعرفة ، فكان الاهتمام بالتعليم فأنشئت المدارس الأهلية وكثرت ، كما حدث فى السودان ، فقد بدأ التعليم ، الأهلي منذ عام ١٩٢٨م ، وذلك بقيام مدرسة أمدرمان الأهلية . وتبعها قيام مدارس أخرى . كما تم تأسيس الأحزاب السياسية والجمعيات الأدبية وغيرها . ولم تقف طموحات الأفراد عند المؤسسات التعليمية داخل بلادهم ، بل هاجر بعضهم لمواصلة تعليمه فى الخارج.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، ضاعف الشباب الأفريقي جهوده في مجالات العلم والمعرفة التي تؤهله للقيام بدوره في تقلد المناصب الرئيسة في

الدولــة ، فكثـرت هجـرتهم للخــارج لمواصــلة الدراســة والتحصــيل فــي شــتى المجـالات. وبـذلك نـهـض التعلـيم نهضـةً واسـعةً بالنسـبة لمـا كـان عليـه مـن قبـل ؛ وشـمل بلـدان أفريقيـا وعـي جديـد ، أدى إلـى كتابـة تـاريخ جديـد ناصـع ، لـدول وشعوب أفريقيا ، ومن بينها شعب السودان .

الأسئلة

١. تمكنت الدول الأوربية من استعمار الشعوب الأفريقية بسهولة ويسر – علل لذلك ؟

٢. ما مضمون معاهدة برلين (١٨٨٤م – ١٨٨٥م) ؟ وما الغرض من تلك المعاهدة ؟

٣. بعد معاهدة برلين تم عقد عدة معاهدات بين الدول الأوربية لتقسيم القارة، اذكر تلك المعاهدات والمناطق التي عنيت بها ظ

٤. عمد المستعمرون الأوربيون إلى تغيير أسماء بعض المناطق والدول الأفريقية اذكر أمثلة لذلك – ما مبرر تغيير تلك الأسماء ؟

٥. لم تنج من الاستعمار الأوربي في أفريقيا إلا دولتان – ما هما ؟ ولماذا ؟

٦. اكتب باختصار عن الاقتصاد والتعليم في إفريقيا خلال عهود الاستعمار؟

٧. حرص الاستعمار وما زال يحرص على إبقاء الأمم والشعوب متخلفة . علل لذلك ؟ وما وسائله لتحقيق هذا الهدف ؟

٨. وضِّح أثر التعليم في يقظة الشعوب الأفريقية نحو الحرية والاستقلال ؟

الفصل التاسع

نموذجان لحركات التحرير الوطنية

(غانا – الجزائر)

تمهيد :

في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ،كان جهد الحكومات الاستعمارية في أفريقيا قد انصرف إلى تركيز وتحقيق نوع من الإكتفاء الذاتي في المستعمرات ، دون دعم مادي من الدول الأوربية .

وقد أثمر جهد الحكومات الاستعمارية خلال النصف الأول من القرن العشرين ،عن عائد مادي ضئيل ساعد في تطوير الزراعة ، ودعم الحركة التجارية ، وتقديم نوع من الخدمات الصحية والتعليمية والإسكان . وعندما تعرض العالم للأزمة الاقتصادية في بداية الثلاثينيات ، وتدهورت أحوال المستعمرات وانخفضت منتجاتها فاضطرت الإدارات الاستعمارية إلى تخفيض مستخدميها ، ففي ساحل العاج مثلا ، تم تخفيض العاملين من ١٢٨١ مستخدماً ، إلى ٤٢٧ فقط وبسبب هذه الأزمة ، ركزت الدول الأوربية على مشاكلها الداخلية، وبدأت تهتم أكثر بتدعيم جيوشها ، خاصة بعد ظهور النازية وتهديد هتلر للسلم العالمي، وقد حدث هذا في وقت تبلورت فيه الحركة القومية ، وبدأ نمو الثورات الوطنية الأفريقية .

نمو الحركات الوطنية فى افريقيا :

يمكن أن نجمل الأسباب العامة لنمو الحركات الوطنية فى أفريقيا فى مايأتي:

١. نمو الوعى القومى نتيجة للتعليم ، خاصة بعد عام ١٩٤٥م
٢. الهجرة من الارياف للمدن بسبب التطلعات الجديدة من اجل حياة أفضل .
٣. أثر الأفكار الجديدة التى ظهرت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، مثل الحرية ، والديمقراطية ، وحق تقرير المصير .
٤. دور الجنود الأفارقة – الذين حاربوا مع المستعمر خلال الحرب العالمية الثانية – فى بث الوعي القومي ومناداتهم بضرورة الكفاح المسلح ضد الاستعمار .
٥. نشأة التنظيمات السياسية وظهور طبقة جديدة من المتعلمين ، وقد نتج عن ذلك بداية تجمعات فكرية واجتماعية ، لم تلبث ان تحولت الى احزاب سياسية، تنادى بحق الشعوب فى تقرير مصيرها تمهيداً للحكم الذاتى ثم الاستقلال .

وأخيراً تطور الصراع من أجل الاستقلال من أسلوب المفاوضات الى أسلوب الكفاح المسلح ، مثلما حدث فى الجزائر ، وكينيا ، وموزمبيق ، وأنجولا. وسنستعرض على الصفحات التالية ، نموذجين للحركات الوطنية التى قادت شعوبها للتحرر من النفوذ الاستعمارى .

استقلال غانا (ساحل الذهب) :

لم يكن تأثير حركات التحرر الأفريقية كبيراً فى غرب افريقيا حتى عام ١٩٤٧م ، على الرغم من ازدياد عدد المثقفين الذين تلقوا تعليماً فى الخارج ، ولكن ظهرت بعض المؤثرات الثقافية ، كالنشرات وما كان يكتب فى الصحف داخل المستعمرات البريطانية فى غرب افريقيا ، وقد ساهم ذلك الى حد كبير فى تمهيد الطريق للتغيرات السياسية ، والإعداد للتحرر والوحدة . ولم يعط المستعمر فى بادئ الامر اهتماماً لما يجرى ، واعتبر ذلك حركة طلابية لا تتعدى مجال الخطابة .

ومن جهة أخرى فقد كان المستعمرون على أتم استعداد لتقديم بعض التنازلات السياسية للزعامات القبلية القديمة ، وبعض كبار المهنيين ، ورجال القانون ، ورجال الأعمال ، وكبار الزراع ، لأنها الجهات التى كانت تحظى باعترافهم ، وقد شكلت هذه العناصر نواة مؤتمر ساحل الذهب .

وكان من أبرز القيادات الوطنية فى ساحل الذهب ، كوامى نكروما ، الذى عمل من اجل التقارب والانصهار بين المثقفين ، وعامة الجماهير ، فاتحدت كلمة الجميع لتحقيق الهدف الاساسى ، وهو تحرير ساحل الذهب .

وبعد عودة نكروما من خارج البلاد ، أصبح سكرتيراً عاماً للتنظيم ، وبدأ فى وضع الخطط والبرامج السياسية لنقل السلطة من المستعمر ، فقام بطواف واسع على كل أنحاء البلاد لتوعية الجماهير وتعبئتها من اجل الاستقلال والحرية. واستطاع نكروما بمهارته الفائقة في الخطابة والتنظيم ، وقدرته على جذب

الجماهير أن يكون خمسمائة فرع للتنظيم . كما أصدر بطاقات العضوية ، وجمع الاشتراكات والتبرعات اللازمة للعمل . وبدأ الحزب فى تنظيم عدد من المظاهرات الصاخبة المنادية بالاستقلال ، وبسببها اعتُقِلَ عدد من القادة الوطنيين . وكان نكروما على رأس أولئك الذين اعتقلتهم السلطات الاستعمارية.

وفى مواجهة ذلك عملت الحكومة البريطانية على تكوين لجنة خماسية من الأفريقيين وجعلت رئاستها للسير هنلى كاوسى لوضع توصيات بغرض إجراء بعض الإصلاحات الدستورية . وقد عمدت السلطات الاستعمارية الى إهمال نكروما ولم تشركه فى تلك اللجنة ، بينما اختارت بعض قادة المؤتمر الذين اعتقلتهم ثم أفرجت عنهم للاشتراك فى اللجنة ، وكل ذلك كان بالطبع الغرض منه ضرب الحركة الوطنية ، وتعويق مسيرتها وهذه من الوسائل الرئيسة التى كان يلجأ إليها الاستعمار لشق الصف الوطني .

وبعد أن أفرِجَ عن نكروما قام بتوجيه نقد شديد للتعديلات الدستورية التى وضعتها لجنة كاوسى ، ووصفها بأنها مخطط إمبريالي ، الغرض منه ، ضرب الحركة الوطنية . ونادى نكروما بالاستقلال الكامل لبلاده وطالب بجلاء المستعمرين فوراً ؛ وصمم على اتخاذ خطوات ايجابية فى هذا الصدد . وعمَّت البلاد سلسلة من المظاهرات والإضرابات العامة التي انتشرت فى كل أنحاء القطر وفى عام ١٩٤٩م ، تمكن نكروما من تكوين حزب قومي سماه حزب مؤتمر الشعب ؛ إلا أن السلطات البريطانية عملت على تقويضه ، وأمرت باعتقال نكروما وبعض زعماء الحزب ،وازداد الأمر سوءاً بتوالي المظاهرات، واستمرار الاضطرابات ، وإضراب العمال ، وإغلاق كثير من التجار لمتاجرهم.

وفى تلك الظروف ، بدأت الحكومة الاستعمارية فى الأعداد للانتخابات العامة فى فبراير ١٩٥١م ، واستطاع حزب نكروما اكتساحها ، وخرج نكروما من سجنه ليصبح رئيسا للوزراء وتلت تلك المرحلة فترة انتقالية ومنحت بريطانيا بعدها شعب ساحل الذهب ، الفرصة فى تقرير مصيره ، وانتهى الأمر أخيراً باستقلال ساحل الذهب فى ٦ مارس ١٩٥٧م ، وسُمِّيتْ ساحل الذهب عشية استقلالها باسم جمهورية غانا ، تيمنا بأسم أول مملكة أفريقية في غرب افريقيا .

الأسئلة :

١. ما أثر الأزمة الاقتصادية العالمية على المستعمرات الاوربية فى أفريقيا؟
٢. اهتمت الدول الأوربية بتقوية جيوشها فى منتصف الثلاثينات – علل لذلك؟
٣. وضِّح المجهودات التى قامت بها الدول الاستعمارية من أجل استمرار بقائها ، والقضاء على الحركات الوطنية فى افريقيا – وما نتائج تلك المجهودات؟
٤. أكتب موضِّحا العوامل التى أدَّت الى نمو الحركات الوطنية فى افريقيا ؟
٥. تمكن الزعيم كوامى نكروما من تحقيق استقلال ساحل الذهب – ناقش الخطوات التى مرت بها المقاومة التى قادها ضد الاستعمار ؟

(٢) استقلال الجزائر :

كانت الجزائر أول قطر فى شمال افريقيا تحل به كارثة الاستعمار الفرنسى، وقد عمدت فرنسا لطمس الهوية الإسلامية والعربية للجزائر ، وفرض الثقافة واللغة الفرنسية . ولكِنَّ الجزائريين قاوموا الاستعمار الفرنسي، مقاومة عنيفة بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري .

الثورة الجزائرية :

ولقد واجه عبد القادر الجزائري الاحتلال الفرنسي حتى استشهاده فى عام ١٨٤٧م ، ثم تجددت المقاومة للاستعمار في ثوره بقيادة المقرافي واستشهد فيها نحو ستين ألف جزائري عام ١٨٧١م . وتلا ذلك أن حُكِمَ بالإعدام والسجن على عدد كبير من الجزائريين ، وفرضت غرامة مالية باهظة على القبائل ، فلما عجزت عن دفعها انتزعت منها أراضيها وأعطيت للمستعمرين الفرنسيين .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى جندت فرنسا كثيراً من الجزائريين ، ولكنَّ فرقاً منهم فرَّت وانحازت إلى جانب الأتراك لتحارب الفرنسيين .

وقد تأثرت الحركة الوطنية في الجزائر ، بالحركات الوطنية الأخرى ، التي قامت في تونس ومراكش . وفي سنة ١٩٢٦م تأسست جمعية نجمة شمال أفريقيا للدفاع عن كيان المغرب العربي ، بزعامة مصالي احمد الحاج .

جمعية علماء المسلمين :

أسست سنة ١٩٢٨م وكان لها أثر فعال في تنوير الرأي العام الإسلامي بالجزائر ونشر الثقافة الإسلامية العربية ، وعلى الرغم من أن زعماء الحركة الوطنية الجزائرية في ذلك الوقت كانوا يكتفون بطلب الإصلاح منعاً لفرض اللغة والثقافة الفرنسية على الجزائر ، وللمحافظة على الإسلام والعروبة فيها ، إلا أن فرنسا كانت تضيق بمطالب الإصلاح وتُمْعن في مقاومة كل حركة وطنية أو إصلاحية.

حزب الشعب الجزائري :

أدرك أهل الجزائر أن الحل الحقيقي لقضية الجزائر ،هو الاستقلال والانفصال التام عن فرنسا ، ولهذه الغاية تألف حزب الشعب الجزائري بزعامة مصالي الحاج ، بعد أن قامت اللجنة بحل حزب النجمة .

مأساة ٨ مايو ١٩٤٥م :

بذل الجزائريون فى الحرب العالمية الثانية تضحيات غالية وكثيرة ، الى جانب فرنسا ، ولكن فرنسا ما لبثت ان تنكرت لهم . وفى يوم الاحتفال بالانتصار على دول المحور (إيطاليا / المانيا / اليابان) خرج الجزائريون فى مظاهرات يحملون علم الأمير عبد القادر الجزائرى رمزا لمطلبهم الرئيس وهو الاستقلال ، فما كان من الجنود الفرنسين إلا أن هجموا على المتظاهرين والآمنين فى المدن وخاصة مدينة ستيف ، وكانت مذبحة رهيبة قتل فيها الآلاف من الجزائريين .

جمعية التحرير الوطني :

كانت قسوة الجنود الفرنسيين في معاملة الجزائريين من الاسباب المهمة التى أشعلت روح الثورة فى الجزائر وكانت البداية الحقيقية للثورة مع تكوين جيش التحرير الجزائرى .

وقد تجاوبت الشعوب العربية مع انتفاضة الشعب الجزائرى .

وإمعاناً من فرنسا للانفراد بشعب الجزائر ، رفضت عرض القضية الجزائرية على منظمة الأمم المتحدة ، باعتبار أن الجزائر إقليم فرنسي ومسألة داخلية ، لا تعني سوى فرنسا . واستمرت فرنسا في غدرها بالشعب الجزائري، واتَّضح ذلك في اختطافهم لخمسة من الزعماء الجزائريين في أكتوبر ١٩٥٦م ، وهم في طريقهم إلى تونس للاشتراك في مؤتمر يحضره باي تونس وسلطان مراكش للتوسط في المسألة الجزائرية .

لكل تلك الحوادث وغيرها ظلت حرب التحرير مستمرة منذ عصيان نوفمبر عام ١٩٥٤م . وقد فشل جميع الوزراء الفرنسيين الذين تعاقبوا على السلطة في الفترة ما بين ١٩٤٥-١٩٥٨م في تهدئة الأحوال في الجزائر ،وظلت حرب التحرير مستعرة .

أما على الساحة الفرنسية ، فقد أدىّ تطور الأحداث إلى عودة شارل ديجول إلى السلطة ، وهو شخصية قيادية تتمتع بالأفق الواسع ، والمرونة في مجال السياسة . ومن أول أعمال ديجول عقد اتفاقية وقف إطلاق النار مع جبهة التحرير

الوطنية في ١٩٦٢م ،في مدينة إيفيان (Evian) ، بعد سبعة أعوام ونصف من القتال المرير .

وفي تلك المرحلة ظهرت قيادات وطنية شابة في الجزائر ، أمثال فرحات عباس ويوسف بن خده ، وأحمد بن بيلا . واستمر جهاد الجزائريين وكفاحهم حتى نالوا استقلالهم في يوليو ١٩٦٢م . وتُعد الجزائر واحدة من الأقطار الأفريقية القليلة التي نالت استقلالها عن طريق القوة والكفاح المسلح .

الأسئلة

١. لماذا كانت مقاومة الجزائريين عنيفة للاستعمار الفرنسي ؟

٢. (أ) تحدث عن اشهر قيادات الثورة الجزائرية ؟

(ب) متى تأسست جمعية نجم شمال أفريقيا ؟ وما هي اهدافها ؟

٠٣ وضِّح دور جمعية علماء المسلمين بالجزائر في مناهضة الاستعمار الفرنسي ؟

٠٤ تتبع أحداث الثورة الجزائرية منذ مايو ١٩٤٥م حتى استقلال الجزائر ؟

رقم الإيداع: 754|2008